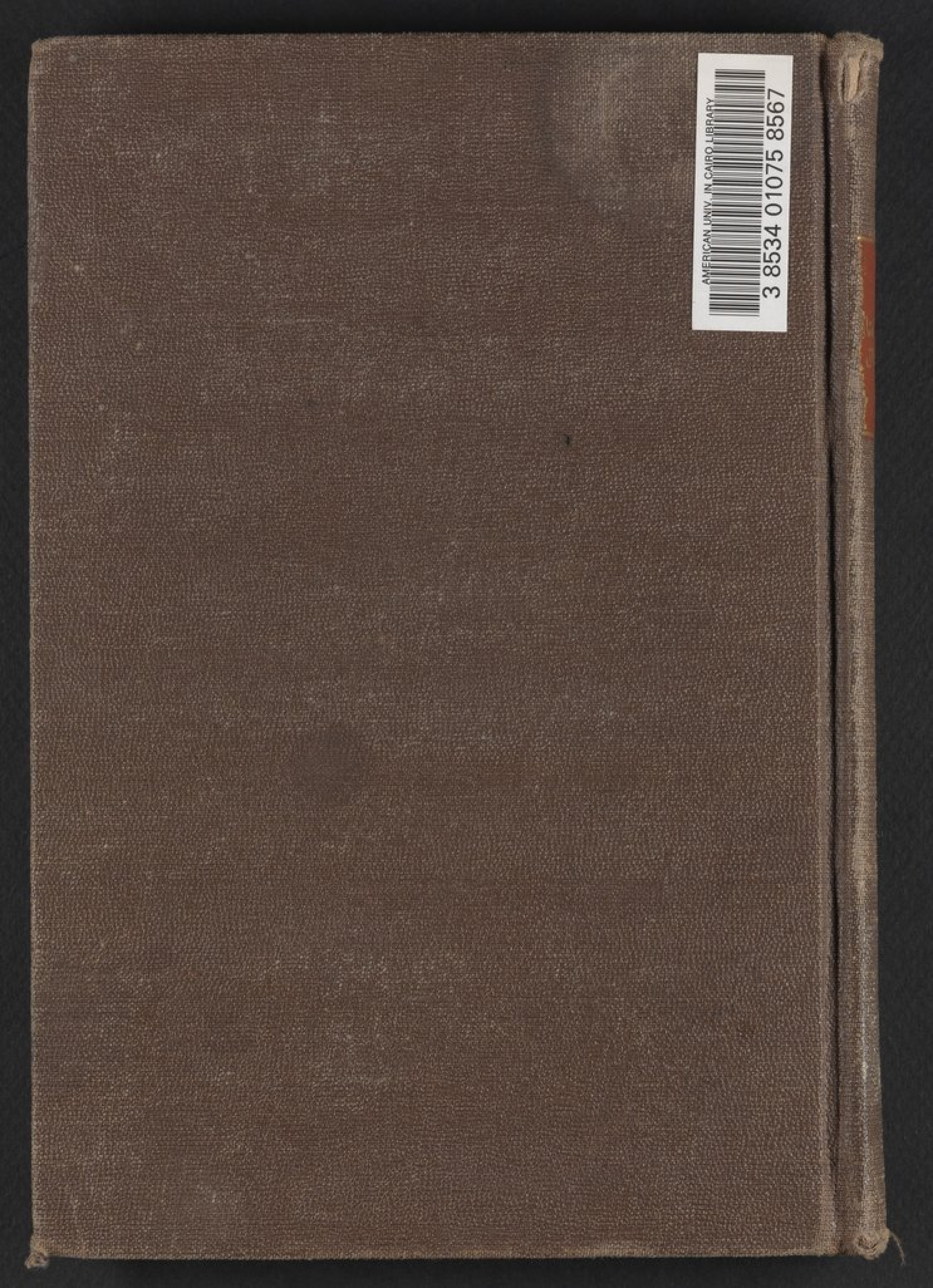
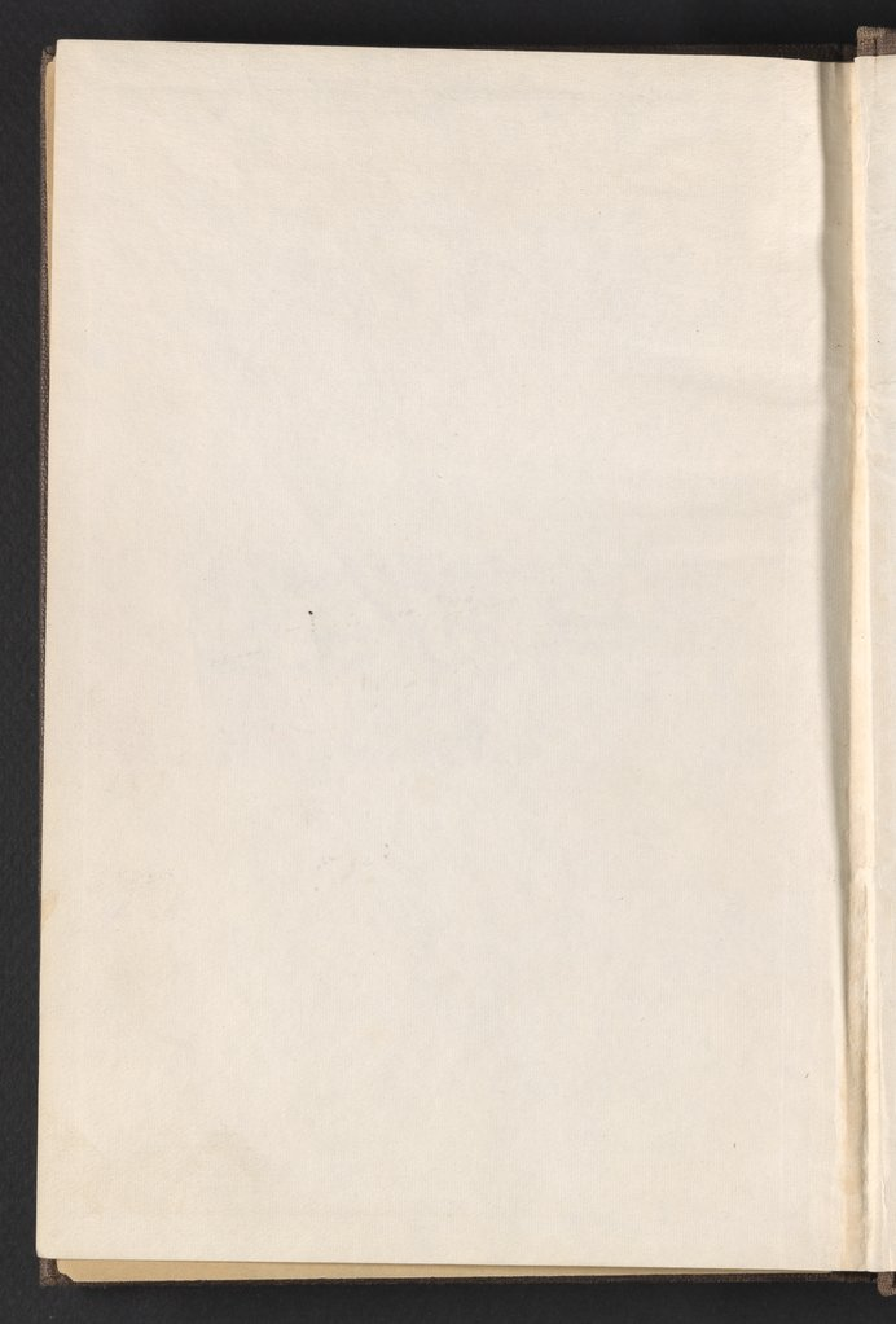
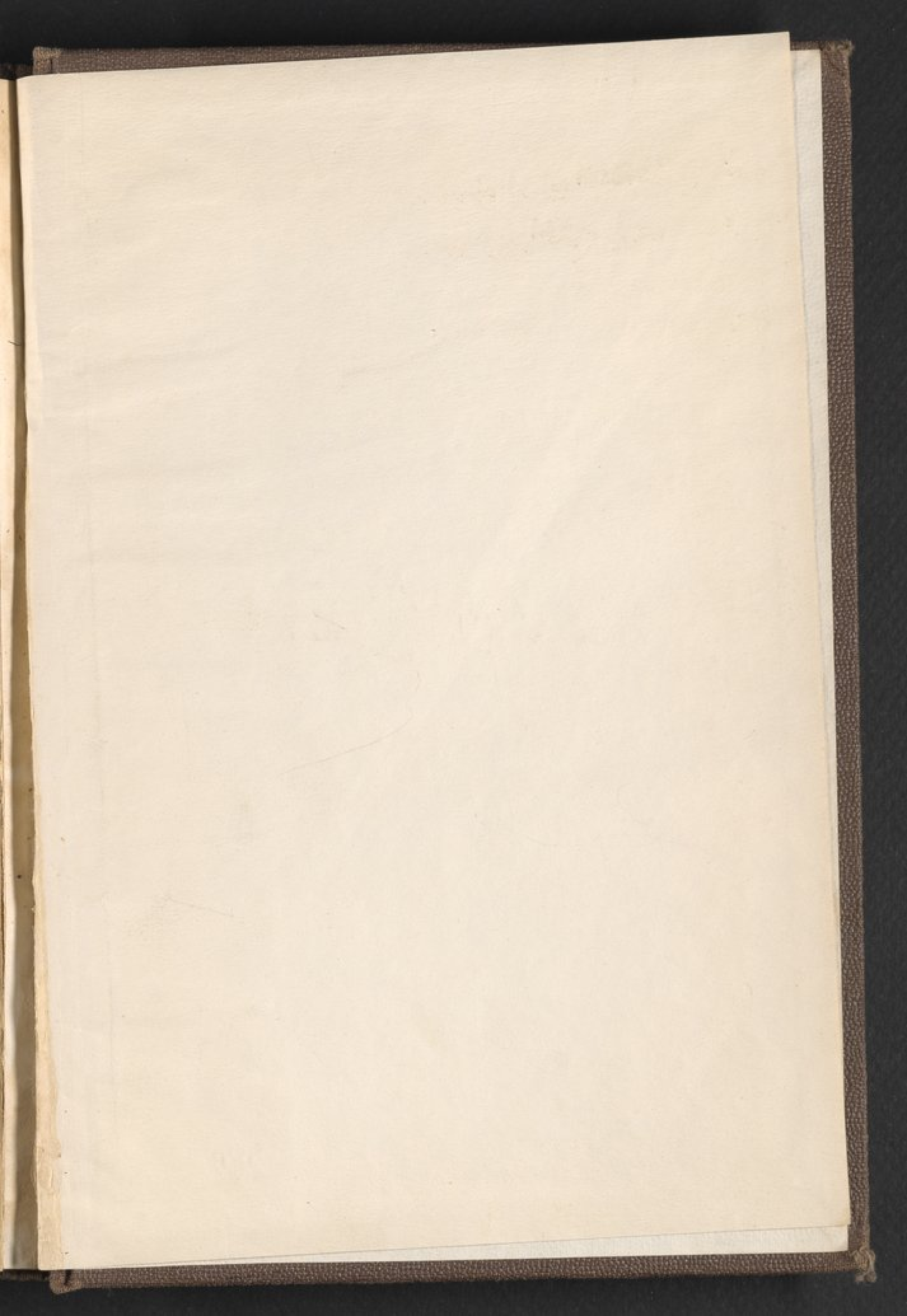

AMERICAN UNIV. IN CAIRO LIBRARY
3 8534 01075 8567





هدية مديرية الدعاية العامة لحضرة الدكتور
ابيه تقط المحترم في ٢٦/٤/١٩٤٥

مدير الدعاية العام

المحامي
عبد المحسن القصاب

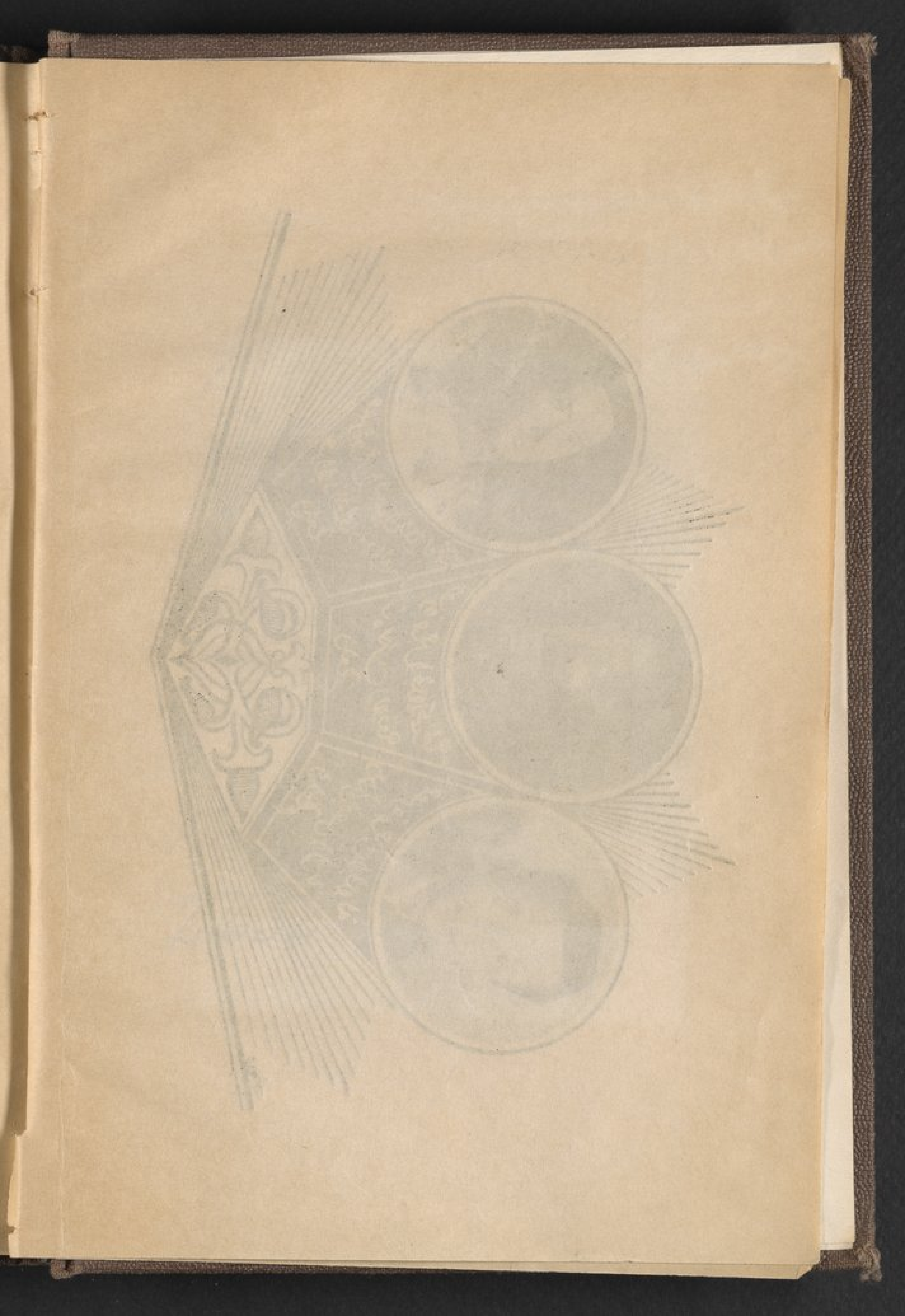
ذكرى الأفغاني في العراق

١٣٦٤ هـ

١٩٤٥ م

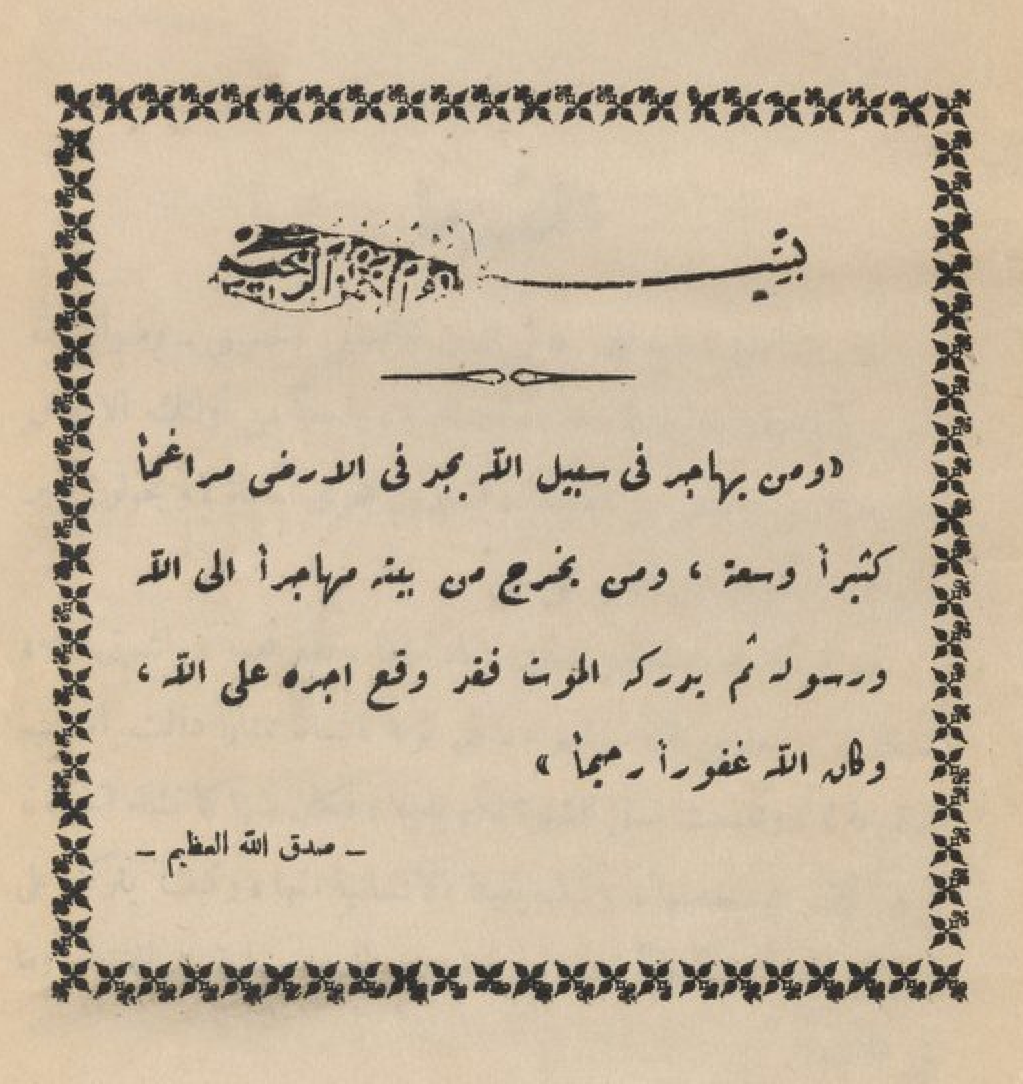
مطبعة الرشيد * بغداد







حكيم الشرق وفيلسوف الاسلام المصلح الكبير
المرحوم السيد محمد جمال الدين الحسيني الافغاني طيب الله ثراه



بسم الله الرحمن الرحيم

«ومن يهاجر فى سبيل الله يجد فى الارض مراغماً

كثيراً وسعة ، ومن يخرج من بيته مهاجراً الى الله

ورسوله ثم يدركه الموت فقد وقع اجره على الله ،

وكان الله غفوراً رحيماً»

ـ صدق الله العظيم ـ

المقدمة

يمثل المرحوم السيد محمد جمال الدين الافغاني الحسيني ـ رضوان الله عليه ـ بفكره، وروحه ،وعقيدته ، و تضحيته ، واحداً من أولئك الابطال العالميين الذين يفلتون من الطبيعة ، فيغيرون مجرى الحياة ، و يحولون سير التاريخ ، و يكونون من امتهم كل شيء ..

فهو لم يكن مجرد شخص عادي واتاه الحظ ، فلمع نجمه ، واشرق اسمه، انما قامت ـ وستبقى قائمة ـ شهرته ، على كونه انساناً ممتازاً دالت اسباب العبقرية له ، وتجمعت سبل الشهرة بين يديه ، فكان منها كما تشاء الحياة ، عرف كيف يستخدمها ، وكيف يفيد الانسانية منها ، وكيف يتركها على لسن التاريخ نشيداً حلواً يردده من فوق منبر الدهر ، ما بقيت الدنيا ، وما بقي الانسان ..

ولقد قامت دعوته الاصلاحية الكبرى ، على اساس ديني اجتماعي سياسي ، في وقت كان فيه العالم الاسلامي يغط فى سبات الانحلال ، وكان الحاكمون بامرهم فيه لا يعرفون منه الا كونه مصدراً للثراء ،وكانت النهضة

العالمية الحديثة تومض شعلتها في آفاقه ، فكان لدعوته هوى في كل نفس ، وموافقة في كل فكر ، وجملت الافغاني بنظر الجميع ، المصلح الاكبر الذي يقدر على بعث الشعوب من رقدتها ، ودفعها للمساهمة مرة جديدة في بناء صرح الحضارة العالمية ، وهي التي دلت على عبقريته ، وتركت الدنيا من ورائه تردد اسمه فى غناء البطولة الخالد ..

ورغم ما لاقاه الافغاني من عنت الحاكمين في وقته ، فانّ اراءه ، اخذت طريقها السبسب للافكار الحرة فى كافة انحاء العالم الاسلامي ، والتفت الجماعات حوله ، تقبس تعاليم الظفر منه ، واحلت هذه التعاليم محل التقديس ونافحت دونها بالدماء والعرق والدموع ، وهيأت من ابنائها تلامذة بررة يبشرون بدعوة الاستاذ الاكبر ، وينشرون ألويته ، ويعقدون الخناصر حوله ، حتى فازوا بما سعوا ، وحتى هيأوا الارض الصالحة لنبت افكاره ،

***

ورجل عظيم كالافغاني ، من حق الشعوب الاسلامية كافة ـ وقد استمدت منه قوة هائلة اعانتها وستعينها لتحقيق ما تصبو اليه .. ان تجعل منه مناراً تهتدي به ، ومرشداً تسير وراءه ، فتنشر حكمته بين اجيالها ، وتمجد ذكراه بين ربوعها ، فليس ادل على يقظتها وحسن تبصرها من تقدير العاملين لخيرها ، الساعين لعزها ، الحاملين دمهم باكفهم لسعادتها .

والحياة التي جادت بالافغاني ليست خصبة الانبات في كل حين ، وليست متهيئة لتقديم امثال الافغاني كلما طلبت الامة منها ، انما هي

شحيحة ، وستبقى كذلك ، وليس بالامكان معالجة هذه الشحة ، الا بالابقاء على المصلح متى ما جادت به الحياة ، الابقاء على تعاليمه ، والابقاء على روحه ، والابقاء على آثاره ، تستمد منها الامة في كل عصر ما كانت تستمده من المصلح وهو بين ظهرانيها ، وتستفيد منها ما كانت تستفيده منه .

فعلى الشعوب الاسلامية اليوم وفي الغد ، ان تدرك هذه الحقيقة ، وان لا تضيع عبقرية الافغاني وغير الافغاني من بناة المجد ، حتى تقدر على البقاء ، وحتى تقدر ان تبقى مع المجموعة البشرية تعيش كما تهوى ، حرة ، كريمة ..

***

ولئن كتب على العراق الا يستفيد من الافغاني وهو حي - كما استفادت الاقطار الاسلامية الاخرى وخاصة الشقيقة مصر - فان العراق الذي استطاع ان يوطد دعائم ملكه ، ويبني صرح حضارته ، بفضل تضحيات وجهود البيت الهاشمي الرفيع العماد ، وبفضل مساعي ابنائه الاشاوس ، ليقف اليوم من الافغاني موقف الشعب من المفكر الحر ، والمصلح الاكبر ، يستمد من تعاليمه وتعاليم سواه من المصلحين ، ما يعينه في حياته ، ويساعده على تحقيق مبتغاه ، وما احتفال العراق بمرور رفات الافغاني بارضه ، - الاحتفال الذي لم ترسم صفحات هذا الكتاب الا الخطوط الرئيسية لصورته - الا مظهراً من مظاهر تقدير الرجل العظيم ، والاعتراف ببيض اياديه ، وجميل مساعيه ..

ولئن اجمل هذا الكتاب صورة التقدير فان في نفس كل عراقي ، وسيبقى في نفس الاجيال القادمة ، هوى خالداً للسيد الافغاني لا يزيده

قدم الدهر الا قوة ، ولا يسبغ عليه بعد شقة الادكار الا جمالا .

فالافغاني من العراقيين ملء السمع والبصر . .

وسيبقى الافغاني من الاجيال العراقية القادمة نور النفس والفكر . .

***

أجل ! ان الدافع الذي دفعني لوصف الاحتفالات التي قابل بها الشعب العراقي رفات الافغاني العظيم ، وجمع ماقاله و كتبه العراقيون بهذه المناسبة السعيدة في هذا الكتاب ، لم يكن سوى اظهار تقديرنا للافغاني المصلح ، وللافغاني الاجتماعي الخطير .

فالله ادعوه ان يجعل لنا من انوار السيد الافغاني وهو علوي من سراة الهاشميين هدياً و رشاداً ، و يوفقنا لبلوغ امانينا تحت فيء الدوحة الهاشمية المباركة ، دوحة محمد (ص) في المرسلين ، وعلي (ع) في المؤمنين ، والحسين في المجاهدين ، وفيصل وعبد الاله في البناة المجددين .

بغداد في : ١٦ ربيع الأول ١٣٦٤ هـ — المحامي عبدالمحسن القصاب

١ آذار ١٩٤٥

الأفغاني في سطور

* السيد محمد جمال الدين بن السيد صفتر (أوصفدر) و يتصل نسبه بالسيد علي الترمذي المحدث الاسلامي المشهور ويرتقي الى الامام الحسين بن امير المؤمنين علي بن ابي طالب كرم الله وجهه .

* ولد عام ١٢٥٤ ه (١٨٣٩ م) في قرية اسعد آباد من قرى كنر من اعمال كابل عاصمة الافغان ..

* كانت كابل معهد دراسته الاول بعد أن هاجر لها مع ابيه وهو في الثامنة من العمر ، بامر الامير دوست محمد خان ..

* واكمل دراسته على الاسلوب الحديث في الهند التي سافر لها وعمره ثمانية عشر عاماً ، فمكث فيها سنة ونصف .

* وفي عام ١٢٧٣ ه (١٨٥٧ م) وصل مكة المكرمة بعد سفر طويل من الهند ..

* وظهرت في الحجاز فكرته لانشاء جامعة اسلامية ، وتمكن من تأسيس جمعية (ام القرى) في مكة ، واصدرت هذه الجمعية مجلة باسمها كانت عظيمة الشأن .

* ولما عاد الى الافغان حظى باعجاب الأمير دوست محمد خان فدخل في حاشيته وصار مرجع مشورته .

* وفي عام ١٢٨٠ ه (١٨٦٤ م) توفى الامير دوست وهو يحاصر

مدينة هرات ومعه السيد الافغاني ، فرقي الحكم الامير شير علي خان نجل الامير دوست .

* وتخاصم الاميران افضل خان واعظم خان مع اخيهما الامير شير علي فكان الافغاني بجانب الامير اعظم خان ، الذي وقع في الاسر حتى انتصر اخوه وابنه الامير عبد الرحمن فناديابه حا كماً ، ولكنه توفي بعد فترة وجيزة فتولى بمكانه أخوه اعظم خان الذي جعل من الافغاني كبير وزرائه ..

* ولكن الامير شير علي انتصر على اخيه ونفاه لايران فاضطر السيد الافغاني للسفر الى الهند عام ١٢٨٥ ﻫ (١٨٦٩ م) ، وبقي فيها شهرين ..

* ثم رحل من الهند الى السويس ومنها سافر للقاهرة فمكث في الجامع الازهر اربعين يوما وصلته بعدها دعوة السلطان العثماني عبد العزيز خان

* وفى اوائل سنة ١٢٨٧ ﻫ (١٨٧٠ م) وصل الاستانة ومكث هناك ستة شهور خلب فيها لب القوم وفى طليعتهم عالي باشا الصدر الاعظم فعين عضو في مجلس المعارف .

* ولما ناؤاه الرجعيون في الاستانة رحل الى القاهرة عام ١٢٨٨ ﻫ (١٨٧١ م) ..

* وفي مصر بدأ نشاطه السياسي وكان له فيها شأن عظيم .

* ثم سافر للهند وسكن حيدر اباد الدكن عام ١٢٩٦ ﻫ (١٨٧٩ م)

وفيها الف رسالته فى الرد على الدهريين ، ثم سكن كلـكتا .

* وسافر من الهند الى لندن ثم التقى بتلميذه الشيخ محمد عبده في باريس واصدرا جريدة العروة الوثقى اجابة لطلب جمعية العروة الوثقى بمصر.

* وفى عام ١٣٠٨ هـ (١٨٩١ م) سافر الى ايران بدعوة ملكها ناصر شاه ، وتقلد وزارة الحربية . .

* ولكن الشاه خشي اراءه فسافر الى روسيا وقوبل بالجفاوة في بطرسبرج (ليننغراد)

* ثم عاد الى ايران ولكن ناصر شاه لم يلتئم معه فغادر ايران الى العراق و وصل البصرة مريضاً حتى نقه .

* ومن البصرة سافر الى البحرين فانكلترا ..

* وفي عام ١٣٠٩ هـ (١٨٩٢م) دعاه السلطان عبدالحميد الى الاستانة فلبى الدعوة . .

* وفى الساعة السابعة والدقيقة الثانية عشرة من صباح الثلاثاء الموافق ٩ مارس عام ١٨٩٧ م اسلم الروح لبارئها على اثر مرض عضال فى فكه هو مرض السرطان

* وبقي مدفوناً في مقبرة المشايخ في الاستانة حتى عام ١٣٦٣ هـ (١٩٤٤م) حيث نقل رفاته الخالد الى الافغان عبر العراق ؟

أمة تحتفل

قال الاستاذ ا . ج . براون في جمال الدين
في الصفحة ٢ من كتابه الثورة الفارسية : —
« انه كان رجلا ذا خلق قوي ، غزير العلم موفور
النشاط ، لا يجد الوهن اليه سبيلا ، جريئاً
مقداماً ، وكانت فصاحته لا تجارى خطيبا كان
أم كاتبا ، وكانت لطلعته هيبة في النفس وعظمة
وجلال .

كان فيلسوفا وكاتبا وخطيبا وصحافيا ، لكنه
كان فوق ذلك سياسيا » .

كان نبأ نقل رفات حكيم الشرق ، وفيلسوف الاسلام ، المرحوم السيد محمد جمال الدين الافغاني - طيب الله ثراه - من الاستانة الى الافغان ،عبر العراق ، مفاجأة غير منتظرة من الأمة العراقية ، وفرصة سعيدة ، تستطيع فيها اظهار ما يكنه فؤادها من الحب والتقدير ، لرجل كان في دنياها الاسلامية كل شيء ، وكان في جهاده العف النبيل مثال البطولة الفذة ، ومثار اعجاب الدنيا .

ولئن كانت هذه الامة لم تستطع تقدير هذا الرجل حياً ، فتستمد منه دروس الحياة ، وتعاليم الرشاد ، فانها وقد استقبلته رفاتاً ، وهي في عهد من العزة والمنعة ، حرية ان تستقبل في رفاته هذا ، كل ما فات عليها في ماضيها .

ولئن كان السيد الافغاني قد نزل ارض العراق في حياته مراراً يحمل على كاهله السقم فانّ روح الافغاني وهي ترف فوق رفاته ، قد مرت بارض العراق ثانية ، تستقبلها قلوب حرة تعرف كيف تمجد الاحرار ، وتوا كبها

نفوس أبية تعرف كيف تحتضن الاباة،ومن ورائها الموصل و بغداد والبصرة،
وهذه المدن والقرى والدساكر المنتشرة على ضفاف الشطين العظيمين ،
و بين بطون الاودية وفوق حفافي الجبال ، تهب اعيناً وقلوباً ، تعلن للدنيا
ان الافغاني من الحياة ، اللب من النواة ، وان الافغاني الذى مات شهيداً
في سبيل هذه البلاد وغيرها من البلاد الاسلامية ، هو الافغاني الذي
يحمل ابناء العالم الاسلامي رفاته اليوم على الا كف ، لواء خفاقا يهدى الى
سبيل الرشاد ..

وليست هذه الفرصة حسنة عند هذا الحد فقط ، بل انها حسنة كذلك
وراء حدود اخرى ، هي حسنة اذ مكنت الامة العراقية ان تقف وسط
العالم الغارق في بحر من الدماء والحديد والنار ، فتريه - بما اظهرته من
عواطف - ان العالم الاسلامي لما يزل منذ البدء ، يكرم العقل ويحترمه ،
و يستمد منه زاد البقاء ، وان العراق الذي انتج للدنيا خير الحضارات
الانسانية التي كانت بحق مصدر الحضارات العالمية في كل عصر ، من
حضارة السومريين والبابليين والأشوريين ، الى الامويين والعباسيين ..
انّ هذا العراق ليعرف اليوم كيف يمجد واحداً من عباقرة الهاشميين
الخالدين ، و يحترم واحداً من قادة العلويين المصلحين ، و ينصرف حينا
من الدهر ، عن انباء المذابح والجماجم والاشلاء ، ليستقبل انباء العقل ،
و يحفل بمواكب الروح ، وتترك صحافته وانديته ومحافله اخبار الحرب
وآراء الساسة جانبا ، وتفتح صدورها لاخبار وخواطر جيش الادب والفكر

في هذا الوادي السعيد ، فتقدمها زهرة فواحة الشذى للناس يستافون منها عبير الضمير والعواطف والروح ..

ان ذكرى مرور رفات الافغاني في العراق ، ستبقى ندية طرية ، كلما استعرضها الفكر ، وما اظهره الشعب نحو الرفات سيبقى زاهيا يدلل على ما في النفوس من حب ، وما في الرؤوس من تفكير صحيح ، وهذه هي دلائل حيوية الامة ونضوجها . وتقديرها للعاملين المجاهدين في سبيل رفعتها وسؤددها ..

***

ولقد تهيأت الأمة العراقية لاستقبال الرفات الخالد ، فور اعلان بيان وزارة الشؤون الأجتماعية بالسماح لمروره عبر الأراضي العراقية ، ونهدت الأقلام تتغنى بمآثر المصلح الكبير ، والبطل الخطير ، وارتؤي ان تنظم الأحتفالات الشعبية وتخرج بأبهى حللها وازهاها وان تكون تحت اشراف لجنة رئيسية ببغداد ، اعلن نبأ تأليفها في اليوم الأول من كانون الأول ١٩٤٤ بالبيان التالي :ـ

« علمت الحكومة في بغداد بقرب مرور رفات المغفور له المصلح الكبير السيد محمد جمال الدين الافغاني من بغداد بقطار الشرق السريع بطريقه الى الافغان وبالنظر لما لهذا المصلح الشرقي الخطير فقد اوعزت الحكومة حالاً بتأليف لجنة للاحتفاء بالرفات عند المرور عبر العراق . وهذه هي اسماء حضرات الاعضاء . وسوف تعمل اللجنة برئاسة مدير الدعاية العام :

١ — السيد احمد زكي الخياط مدير الدعاية العام يمثل وزارة الداخلية.

٢ — السيد باهر فائق مدير التشريفات بوزارة الخارجية يمثل وزارة الخارجية .

٣ — الدكتور خالد الهاشمي مدير التعليم الثانوي يمثل وزارة المعارف.

٤ — السيد فخري الدين الفخري رئيس مهندسي الامانة يمثل امانة العاصمة .

٥ — السيد يوسف حنظل مدير الحركات في مديرية الشرطة العامة يمثل ادارة الشرطة .

٦ — السيد احمد القاضي مدير اوقاف بغداد يمثل مديرية الاوقاف العامة .

وقد اجتمعت اللجنة بوزارة الداخلية يوم السبت الماضي فتداولت في هذا الموضوع وقررت ما يأتي :

١ — لما كان المغفور له المصلح الكبير السيد محمد جمال الدين الأفغاني من المصلحين الذين نبتوا في الشرق فانه لمن الحق على العراق أن يحتفي برفاته إذ يمر عبر وادي الرافدين نحو الأفغان احتفاء يليق بمكانة صاحبه وعظيم شأنه . ولما كان الرفات سيقدم من تركيا في قطار الشرق السريع فقد قررت اللجنة الطلب الى متصرفية لواء الموصل الاحتفاء به عند المرور بأم الربيعين .

٢ — عند وصول الرفات الى محطة الموصل غربي بغداد تستقبله

اللجنة بكامل أعضائها مع ثلة من حرس الشرطة وتذهب به الى الحضرة القادرية المطهرة حيث يبقى هناك حتى ساعة نقله وسوف يقوم بعض المجودين بتلاوة القرآن الكريم عند الرفات طيلة مكوثه في الحضرة القادرية وكذلك تبقى ثلة من الشرطة قائمة بحراسته حتى انتهاء التشييع .

٣ — يحتفى يوم نقله وذلك بأن يصلى عليه وتلقى الخطب المناسبة ثم يشيع بموكب حتى محطة البصرة غربي بغداد .

٤ — وسوف يساهم في الاحتفاء فخامة رئيس الوزراء وأصحاب المعالي الوزراء ورئيسا مجلسي الأعيان والنواب مع كثير من الأعيان والنواب وعلماء الدين وكبار موظفي الدولة وأمين العاصمة ومتصرف لواء بغداد وقاضيا بغداد ولفيف من المفكرين والمحامين والوجهاء وطلاب الصفوف المنتهية من الكليات العالية كالحقوق ودار المعلمين العالية مع بعض طلاب دار العلوم .

٥ — يفتتح الاحتفاء في الحضرة القادرية بالصلاة على الرفات من أحد علماء الدين ثم يتلى آى الذكر الحكيم ثم تلقى كلمات مناسبة من الأستاذ طه الراوي والدكتور خالد الهاشمي والأستاذ الشاعر محمد مهدي الجواهري صاحب جريدة الرأي العام ثم كلمة من مدير الدعاية العام حيث يختتم الأحتفاء بتلاوة آى من الذكر الحكيم .

سوف يحمل الرفات عند التشييع من الحضرة القادرية الى السيارة على اكتاف نخبة من الشباب المفكر .

٦ — يسير موكب التشييع من الحضرة القادرية الى محطة قطار غربي بغداد حيث يودع الرفات عربة القطار نحو البصرة .

يؤلف موكب التشييع من موكب من السيارات تتقدمه سيارة من سيارات الشرطة تحمل الرفات وعليه اكليل من امانة العاصمة تتبعها سيارات المشيعين حتى غربي بغداد .

٧ — اما الوقت فسوف يعلن عند تحقيقه بالضبط .

٨ — يطلب الى متصرفية لواء البصرة القيام بما يجب لتشييع الرفات عند مروره الى الأفغان ؟

الموصل تحيي

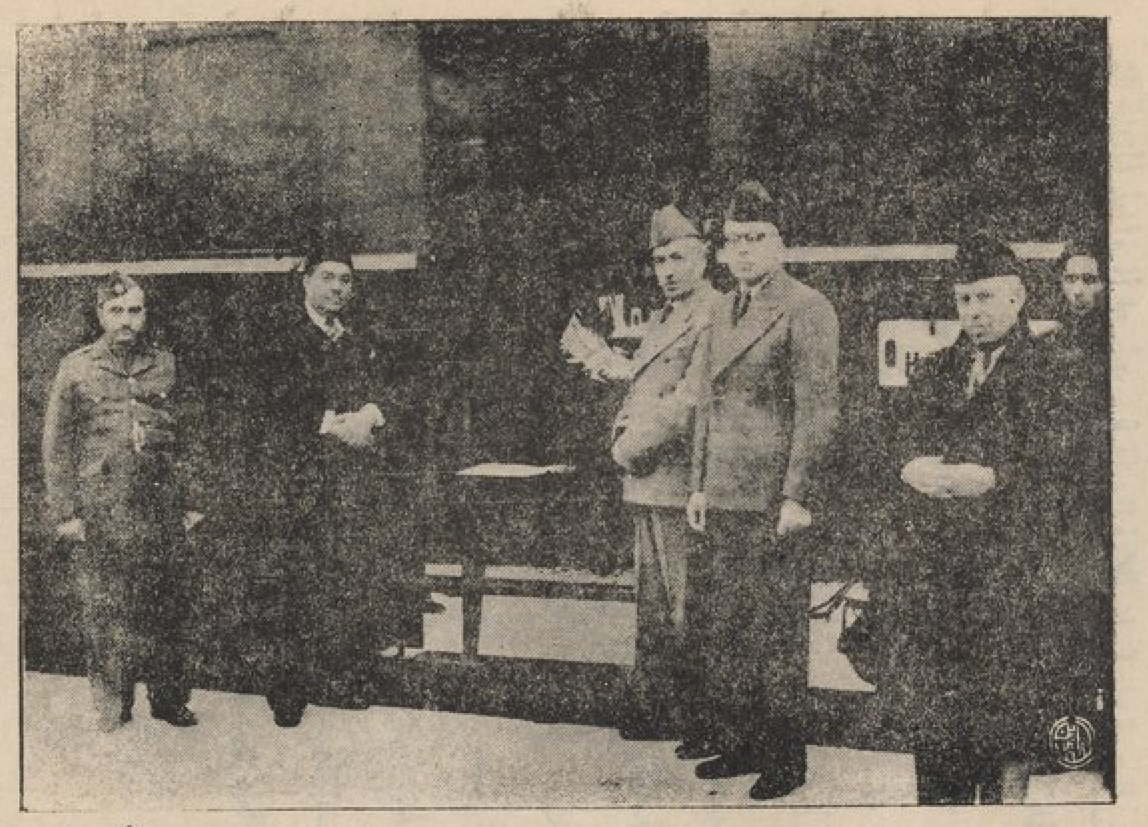
وبقي الشعب العراقي منذ اليوم الأول من كانون الأول يتهيأ لاستقبال رفات المصلح الكبير ، وينثر ادباؤه لآلئ الوفاء ، وعواطف الاخلاص في سمع الدنيا ،حتى وافى يوم الأحد ٢٤ ذي الحجة ١٣٦٣هـ (١٠ كانون الاول ١٩٤٤) ، فاعلن نبأ وصول الرفات بقطار الشرق السريع من تركيا ، يرافقه معالي وزير الافغان المفوض فى العراق السيد عبد الرحمن خان .

واستيقظت مدينة الموصل على النبأ ، فخرجت بموكبها الحافل ، لتظفر باداء واجب الاستقبال ، وتنشر ما يعتلج في نفوس ابنائها من هوى وتقدير لرجل كان بحق رسولا اجتماعياً ، ومصلحاً دينياً ، وقائداً تحررياً ، ومن حق الموصل وهي عين العراق الباصرة ، ومدينة العلم والأدب ، أن ترفع رأس الوطن عالياً في استقبالها ،وتكون حرية أن تسبق بقية المدن بارسال نشيد الوفاء للافغاني ، ولنترك الآن جريدة فتى العراق الموصلية تصف في عددها الصادر بتاريخ ١١ كانون الأول ١٩٤٤ هذا الاحتفال الفريد كما حذت حذوها بقية صحف الموصل .

قالت فتى العراق الزهراء :ـ

لم يكن موعد وصول رفات فقيد الشرق والاسلام المغفور له المرحوم السيد محمد جمال الدين الافغاني محدداً معيناً اذن لخرجت الجماهير الغفيرة الى محطة القطار تستقبل رفاته بما يليق بمنزلته ميتاً ، كما كانت له تلك المنزلة المرموقة حيا ، ومع هذا فان سعادة السيد خير الدين العمري رئيس بلدية الموصل لم تفته هذه الفرصة ومعه جماعة من رجالات البلد المسؤولين وجمهور غفير من ابناء البلد وفي طليعتهم رجال الدين والأدب والثقافة اوفوا العهد لفقيد الشرق والأسلام ، فقد حضروا المحطة مبكراً ، وما كاد قطار الشرق السريع يصل حتى هب الوفد الموصلي لأستقباله فنزل من حافلة القطار المخصصة لنقل رفات الأفغاني معالي وزير الأفغان المفوض في بغداد الذي رافق رفات الفقيد من استانبول الى العراق فتقدم سعادة السيد خير الدين العمري رئيس البلدية فتلا مع الحاضرين الفاتحة الشريفة لروح العلامة الكبير ثم صافح الوزير المفوض مسلما باسم الموصل على معاليه ، ومستقبلا باسم الموصل رفات فقيد الاسلام الكبير المغفور له المرحوم السيد محمد جمال الدين الأفغاني ثم وضع بيده اكليلا من الزهر على الصندوق الذي يحوى رفات الفقيد والقى كلمة مختصرة بليغة أمام الرفات والحاضرين كان لها وقع كبير في نفوسهم حيث عدد بها مزايا الفقيد وخدماته الجليلة للاسلام والشرق .

فأجابه معالي الوزير الأفغاني بكلمة شكر لسعادته باسم الشعب الأفغاني شعوره المعبر عن شعوره الشخصي والممثل لشعور أبناء الموصل خاصة والعراق عامة، واستطرد قائلا : « بان جمال الدين الأفغاني ليس



الرفات الطاهر عند وصوله محطة قطار الموصل وقد وقف بجانبه معالي وزير الأفغان المفوض في العراق واعضاء لجنة الاحتفال في الموصل .

فقيد الأفغان فحسب بل فقيد الأسلام عامة وان خدماته كانت لكافة البلاد العربية الأسلامية ، وانّ هذا الشعور الشريف الحي الذي ابداه سعادة رئيس البلدية على لسان الامة العراقية ، يدل على الروابط المتينة التي تربط الأقطار الاسلامية » .

ثم رد سعادة رئيس البلدية على كلمة معالي الوزير ، ومما قال :

« نحن اذا ما احتفلنا بمرور رفات السيد جمال الدين الأفغاني ببلدنا الآمن فانما نحتفل بفقيد الاسلام ، وانما نحتفل برجل عظيم من رجال الشرق ونرجو أن تربطنا روابط الأحياء » .

ثم أخذ تصوير الرفات مع الحاضرين وفي تمام الساعة الثامنة والنصف تحرك القطار الى بغداد مشيعا بما يليق بصاحبه العظيم من الاجلال والوقار ، كما شيع معالي الوزير الافغاني المفوض بكل حفاوة واحترام .

وقد علمنا ان معالي الوزير الأفغاني اهدى نسخة من « رسالة » عن حياة الفقيد جمال الدين الأفغاني باللغة التركية الى سعادة السيد خير الدين العمري فتقبلها شاكراً .

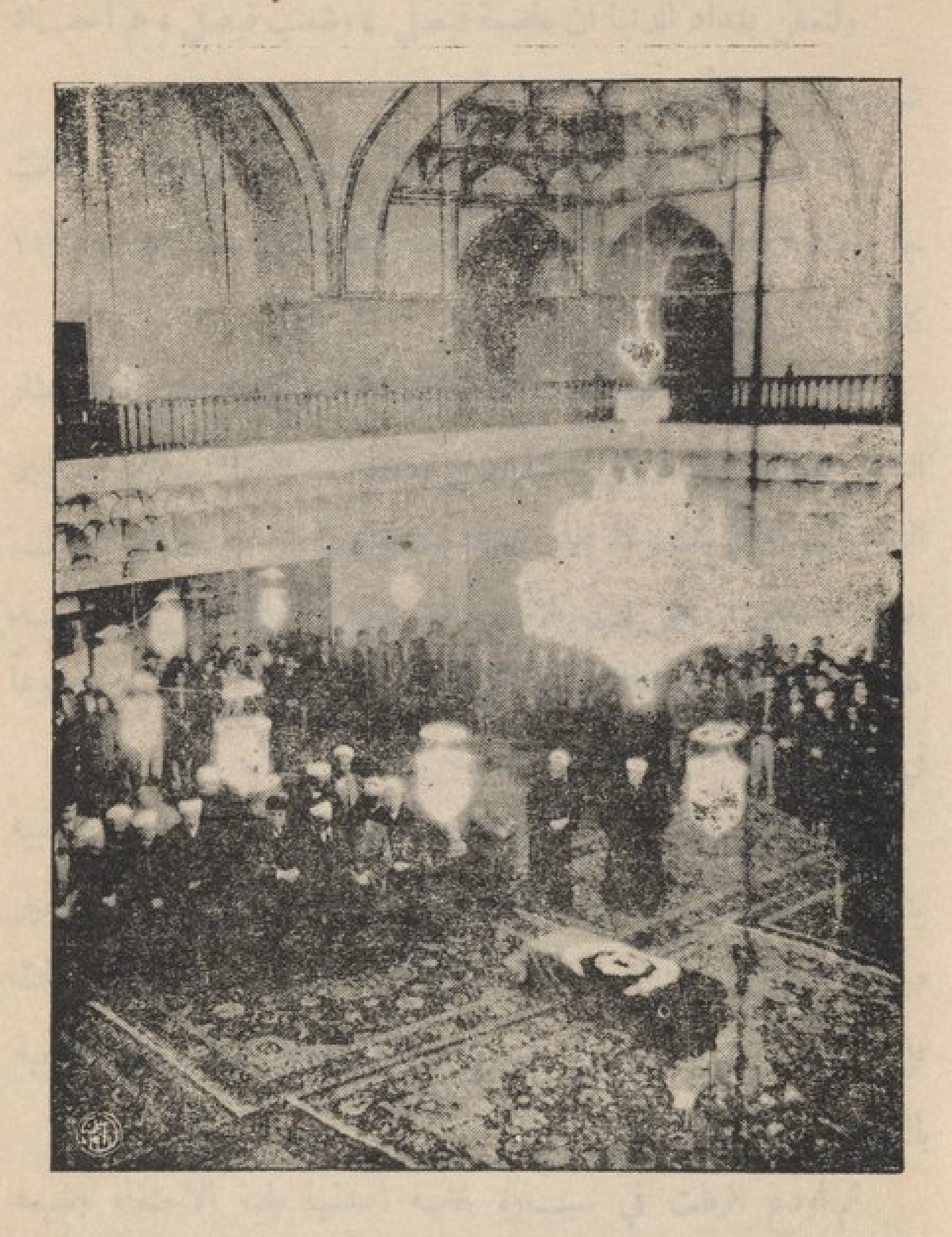
بغداد تحتفل

وكانت عاصمة فيصل متهيئة لأداء الواجب نحو المصلح الكبير ، لا واجب عاصمة فيها زحمة الناس ،وفيها مقر التاج ، وفيها معاهد العلم والادب والصحافة ، بل عاصمة انبعثت منها الى العالم أجمع انوار الحضارة والعرفان واستمدت الأمم منها مادة العقل والروح ، ونهل الوراد من فيض حكمتها وهديها .

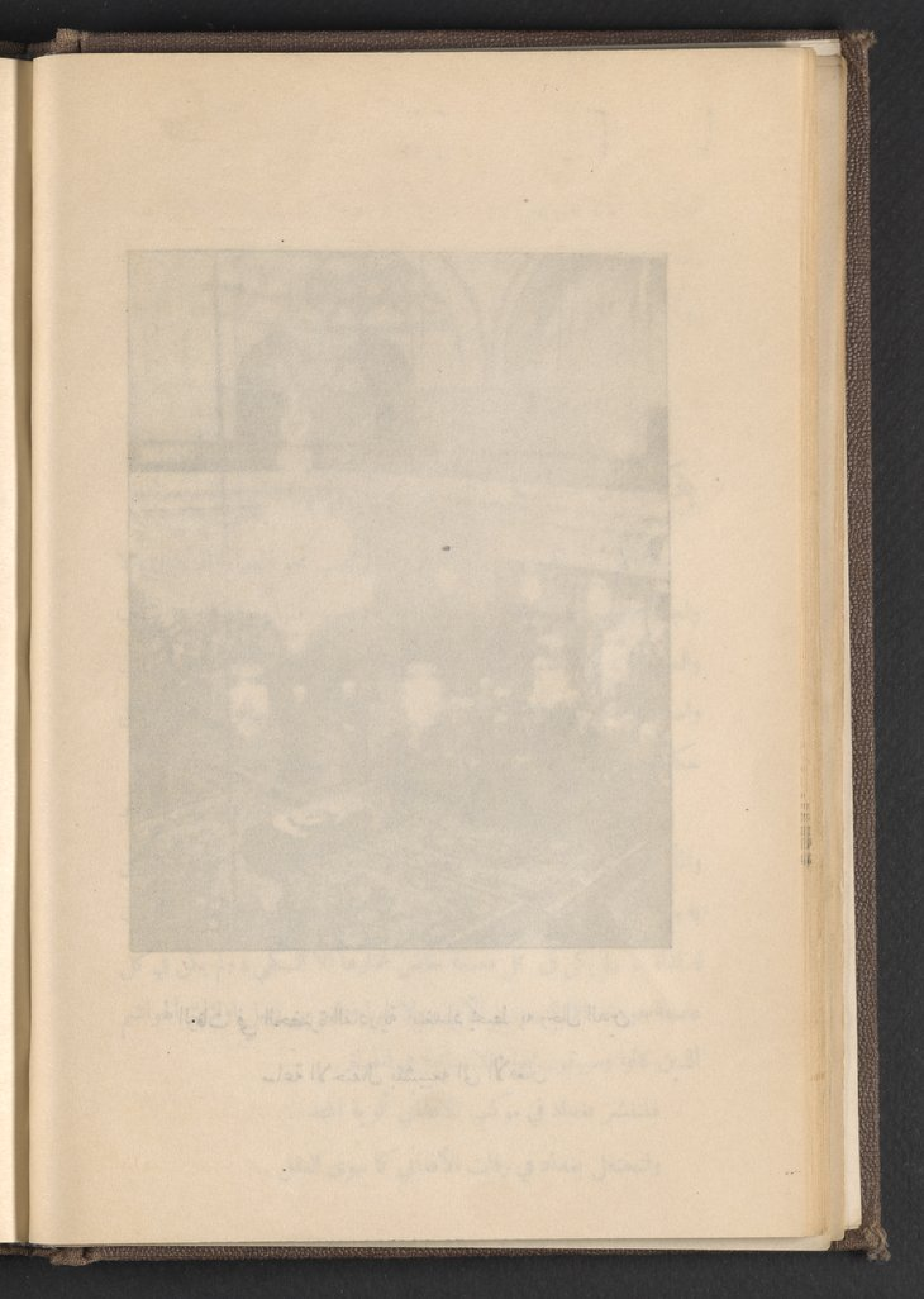
لقد ارادت بغداد فيصل أن تعيد باحتفالها ، ذكرى عهد الرشيد والمأمون ،فتؤلف من ماضيها الزاهر ، وحاضرها الريان ا كليلا زاهياً تكلل به مفرق البطل الذي قارع الجهل والخرافات فما فلت له شباة ، ولا لانت له قناة ، ولم يكن فى كل معمعة خاض غمارها الا الكمي ، ولم يكن في كل عاصفة هوجاء الا السميذع الأبي ، ولا غرابة فهو من نسل اولئك الهواشم الذين كانوا وسيبقون انوار الانسانية في الحياة .

فلتنشر بغداد في موكب الافغاني ألوية المجد ..

ولتحتفل بغداد في رفات الأفغاني كما يهوى العقل ..



الرفات في الحضرة القادرية ببغداد يحيط به رجال الدين
ساعة الاحتفال بتشييعه الى الأفغان



ولتعلن بغداد للدنيا أن عاصمة فيصل ، وشعب فيصل ، هم احفاد شعب الرشيد والمأمون ..

وقد زفت الصحافة البغدادية نبأ وصول الرفات الى الشعب ، وقالت جريدة البلاد الغراء في عددها الصادر بتاريخ ٢٦ذي الحجة ١٣٦٣هـ (١١ كانون الاول ٩٤٤)ما يلي :

«في تمام الساعة السادسة والدقيقة الـ ٣٠ وصل محطة غربي بغداد قطار الشرق السريع قادماً من تركيا يحمل رفات المصلح الاسلامي الكبير السيد محمد جمال الدين الافغاني يصحبها معالي السيد عبدالرحمن خان الوزير الافغاني المفوض لدى بلاط صاحب الجلالة الهاشمية في بغداد وقد كان الرفات الكريم مجللا بالعلم الافغاني وعليه اكاليل الزهر وموضوعاً في عربة خاصة .

وقد كان ينتظره جمهور كبير من المعجبين بالمصلح الكبير ومحبيه يتقدمهم اعضاء لجنة الاحتفاء وافراد الجالية الافغانية ببغداد وجمع غفير من العلماء والوجوه وكبار الموظفين وقد هرع المنتظرون الى حمل الرفات على اكتافهم وساروا بين ثلة من رجال الشرطة كانت تؤدى التحية بالسلاح احتراماً .

ثم اودع الرفات في سيارة خاصة اعدتها لجنة الاحتفاء وشيعه الحاضرون الى الحضرة القادرية حيث اودع الى جانب الضريح .

وبعد قراءة الفاتحة باشر القراء بتلاوة القرآن الكريم . اما عن وقت الاحتفال فلجنة الاحتفاء تعلن بانها ستذيعه من دار الاذاعة اللاسلكية وفي الصحف المحلية وهي تسترعي الى ذلك الانظار . »

ساعة الوداع

صباح الخميس ..

صباح الخميس ٢٩ ذي الحجة ١٣٦٣هـ (١٥ كانون الاول ١٩٤٤) صباح سير موكب بغداد وراء رفات الافغاني ..

صباح الخميس .. صباح انطلاق النفوس العراقية في فضاء المجد تعلن للدنيا وداع الافغاني ..

فلتهب بغداد بموا كبها وتسير وراء رفات العبقرية تحمله على العيون والقلوب ..

ولئن كانت بغداد قد فوجئت بنبأ نقل الرفات في طائرة الى البصرة فالهند ، بدل القطار كما اعلن من قبل ، وفوجئت بالمطر الغزير الذي بدأ هتاناً منذ ليل الخميس ، فان البيان الصغير الذي اذاعته محطة بغداد اللاسلكية في الليل ، ونشرته الصحافة البغدادية في الصباح ، كافيان لتذكير بغداد بساعة الوداع ، وكافيان لخروج بغداد بموكب التوديع كما تهوى النفوس ، وتشاء عواطف الولاء ..

ولنحبس قلمنا لحظة، وندع اقلام الصحافة البغدادية تتكلم فهي خير مترجم للعواطف ، وخير مردد لاناشيد القلوب ..

قالت جريدة الرأي العام الغراء في العدد الخاص بذكرى الافغاني الصادر يوم الجمعة ٣٠ ذي الحجة ١٣٦٣ هـ (١٦ كانون الأول ١٩٤٤) ما يلي :

«لله هذه المناسبات تلقفها الاقلام فتجول في ميادينها وتصول ، المفلق الشاعر يعد رائع المنظوم والكاتب المبدع يرصف مختار الكلم والخطيب المفوه يقتنص أحسن العبارات وامتنها، وهكذا كانت مناسبة الاحتفاء برفات مصلح الشرق الكبير ، السيد الأفغاني ، عند مروره بالعراق الى الموطن الأول ، من هذه المناسبات السعيدة التي حركت الاقلام للتنقيب عن آثار هذا العالم القائم بذاته ، والرجل الجبار الذي جمع بين الحكمة السياسية وضم خالص العقيدة الى صافي المبدأ وآخى بين الفلسفة والدين و بين التدين وروح العصر . ولولا هذه الالتفاتة الحسنة التي اولت الحكومة الافغانية بها مفخرة جيلنا القديم والجديد بل مفخرة الشرق قاطبة والأنسانية جمعاء يوم قررت أعادة رفات المصلح العظيم، الى منبته .. اقول لولا هذه الالتفاتة الطيبة لما عني الناس بذكرى الافغاني كهذا الأعتناء بل ولربما تأخر الاحتفال بذكراه سنوات عديدة.

كان معشر الأدباء والمثقفين منذ أن اذيع خبر مرور الرفات الكريم متلهفين لرؤية يوم الأحتفاء.

وفي مساء يوم الاربعاء الماضي فوجيء الناس بخبر الاحتفاء ، وما ازفت الساعة العاشرة من صباح يوم الخميس حتى كانت الجموع تتقاطر مهطعة الى المرقد القادري حيث وضع الرفات وحيث تقرر اقامة الحفل هناك.

ولعل الطبيعة التي عبست بوجه الافغاني منذ أن اشتد عوده حتى احتواه

لحده ، قد ابت الا أن تعبس بوجهه فى هذا اليوم ايضاً فقد كانت السماء غائمة وكانت الطرقات تفيض بما هطل من الأمطار ثم شرع القوم يتواردون فاذا بالمرقد القادرى يضيق بالقادمين ساحاته وارؤقته وابهاؤه ، والشوارع والطرقات المؤدية اليه تزخر بالناس يتدافعون بالمناكب مشرئبة اعناقهم بغية التطلع الى « النجم المسجى » .

***

ووصفت الحفل جريدة النداء الغراء فى عددها الصادر صباح الجمعة فقالت:

« زحفت العاصمة صباح امس نحو الحضرة القادرية للاحتفاء برفات عظيم الشرق والاسلام السيد جمال الدين الافغاني وتوديعه الوداع الاخير وهو ينقل الى البلاد التي انجبته ليرقد في تربتها رقدته الابدية .

زحفت العاصمة من الصباح الباكر بعلمائها ووزرائها وكبرائها وارباب الصحف وحملة الاقلام وطلاب المدارس لتحيي رفات الرجل العظيم الذى انار سبيل التقدم للامم الأسلامية وتستعيد مآثره الجليلة امام رفاته فترثيه بل ترثي الشرق والعالم الأسلامي لانهما لم يتخلصا من الجهل والعصبيات الذميمة ولم يتقدما نحو قنن المجد التي دعاهما الى السير نحوها ..

ولم يكن هذا الأجتماع الحافل حول رفات الفقيد بالشيء المصطنع ولم تكن عليه صبغة المجاملة الدبلوماسية بقدر ما كان اجتماعا منبعثا عن رغبة صادقة فى اداء واجب الحفاوة برفات الراحل الذى تدارس تعاليمه العراقيون وتأثروها اسوة بالامم الاسلامية والشرقية الأخرى .

لقد رأينا جمهرة رجال الدين تحيط بالرفات وتصلي عليه بامامة سماحة

السيد قاسم القيسي ورأينا بين المصلين سماحة نقيب اشراف بغداد وقاضي بغداد ونائبه وغيرهم من رجال الدين الأجلاء الأفاضل . ورأينا في قاعة المصلين من الوزراء معالي السيد محمد حسن كبة وزير الشؤون الاجتماعية ومعالي السيد ابراهيم عاكف الألوسي وزير المعارف ومعالي السيد عبد الأمير الازري وزير المواصلات والاشغال ومعالي السيد يوسف غنيمة وزير التموين . ومن رجال السلك الدبلوماسي معالي السيد عبد الرحمن خان وزير الافغان المفوض ، الذي رافق الرفات من الاستانة الى بغداد وسيرافقه من بغداد الى الأفغان ، ووزير المملكة العربية السعودية والقائم باعمال لمفوضية المصرية . ومن المديرين العامين سعادة السيد رؤوف الكبيسي مدير الأوقاف العام وسعادة السيد أحمد شوقي مدير الأشغال العام وسعادة الدكتور فاضل الجمالي مدير الخارجية العام وسعادة السيد حسام الدين جمعة امين العاصمة وسعادة عبدالحميد الشالجي مدير السجون العام .

وفي تمام الساعة العاشرة والنصف نقل الرفات من غرفة الضريح القادري مجللا بالعلم الافغاني الى المصلى حيث وضع امام المحراب فصلي عليه ، ثم نقل الى وسط قاعة المصلى حيث احتاط به المحتفون وقوفاً و بدأ الاحتفال بآي من الذكر الحكيم تلاه احد المقرئين بنغم شجي . ثم اخذ مدير الدعاية العام يقدم الخطباء فكان سعادة السيد طه الراوي اولهم والقى كلمة تطرق فيها الى حياة الفقيد وتعاليمه واثره فى الامم الاسلامية ، وتلاه الدكتور خالد الهاشمي فالقى خطابه الرائع ، ثم القى الشيخ جلال الحنفي كلمة بليغة بالنيابة عن رجال الدين ، وتلاه الشاعر المجيد محمد مهدي الجواهري فالقى

قصيدة رائعة استعيدت مقاطعها عدة مرات وكانت موضع التقدير والاعجاب ثم تقدم سعادة السيد احمد زكي الخياط وتحدث عن أثر الفقيد في البلاد العربية وكيف انه التقى بجلالة الملك الحسين بن علي جد الاسرة المالكة، في الاستانة فتبادلا الرأي في انهاض الامم العربية واعادة مجدها الغابر.

واخيراً تقدم معالي عبدالرحمن خان الوزير المفوض لجلالة ملك الافغان فالقى كلمة شكر بها العراق لحفاوته برفات الفقيد وشكر الأمة العراقية لما اظهرت من اهتمام بحادث مرور رفات الفقيد ببلادها وتمنى أن يكون هذا الحادث وسيلة لتنمية افضل العلاقات بين الحكومتين وتوثيق اواصر المودة بين الامتين.

ثم تقدم سعادة السيد حسام الدين جمعة أمين العاصمة فوضع بيده اكليل العاصمة على الرفات وادى له التحية، وختمت الحفلة بدعاء القاه السيد جلال الحنفي فقرئت «الفاتحة» على روح الراحل العظيم.

ورفع الرفات حيث اودع احدى السيارات فسار وراءه رتل طويل من سيارات المشيعين الى المطار المدني مخترقاً شارع الملك غازي ثم شارع الملك فيصل الثاني وجسر الملك فيصل الأول فشارع الملك فيصل الأول.

وقد استقبل الجثمان في المطار ثلة من شرطة القوة السيارة اصطفت على جانبي الطريق شاكية الحراب فأدت له التحية عند وصوله المطار المدني حيث اودع احدى الغرف انتظاراً لوصول الطائرة. وهناك قرأ المشيعون «الفاتحة» لآخر مرة على رفات المصلح المظيم وانفضوا يحملون ذكرى



الرفات يحمله الشباب المثقف على الاكف في رواق الحضرة القادرية
لوضعه في السيارة الخاصة

جهاده و يلهجون بتعاليمه نفعنا الله واياهم بها وهدانا واياهم صراط المستقيم » .

***

وعادت جريدة الرأي العام الغراء تقول :

« وهكذا يمر جمال الدين بالعراق بروحه في عام ١٩٤٤ آمناً مطمئناً مكرما مبجلا فقد عرفت الاجيال الجديدة قدره فارادت بهذا الاحتفاء أن توفي بعض ما في اعناقها من ديونه .

وتحركت الطائرة واختفى ذلك الرفات الطاهر فعاد ذلك « الروح العلي الذي تنزل بالرسالة » يرفرف من جديد في الاجواء ، اجواء الشرق الذي يتلمس اليوم طريقه نحو النور والمجد . »

عواطف...

لقد شاء القدر ان يهبط الافغاني العراق رفاتاً ، ولكن روحه ترف فوق الرفات ..

وشاء القدر ان تكون حضرة الشيخ الزاهد علم الاسلام ، الشيخ عبد القادر الكيلاني ندوة الاحتفال بالافغاني ، وهناك صلة وثيقة بين الشيخ العراقي والشيخ الافغاني ، فكلاهما نفحة من نفحات الاسلام ، وكلاهما مجاهد فى سبيل ربه ، واعلاء كلمة قرآنه ، اديا في دنياهما الجهاد حقه ، وخلدا فى عليين تستمد منهما الاجيال نور الهدى والسداد ..

فلنقف الآن بخشوع وتواضع امام الرفات العظيم ، ولنسمع بقلوبنا وآذاننا ما يقوله هذا الرعيل الكريم من ابناء العراق ، ففي اقوالهم اصدق التعبير عن مشاعر الشعب ، وفي ارائهم اجمل النظر لحقيقة السيد جمال الدين .

تاريخ خالد ..

« كلمة سعادة الاستاذ الكبير السيد طه الراوي استاذ الادب العربي في دار المعلمين العالية » .

أيها السيد الكريم والمصلح العظيم ، سلام الله عليكم و رضوانه عنكم .

أيها الحفل الكريم .

حياكم الله بالحسنى .

أما بعد فانه قد مضى على امتنا العزيزة حين من الدهر كانت فيه سيدة نفسها ومالكة أمرها ، بل سيدة الامم ، واليها المرجع في سياسة السيف والقلم ، ثم ما لبث الدهر أن قلب لها ظهر المجن فانكرت نفسها وجهلت أمسها . و راحت تتسكع في ديجور ظلام دامس لا تستبين في حندسه طريقاً ولا تهتدي الى سبيل ، وكان يلوح لها فى الافق بين الحين والحين وميض تسير على نوره حيناً ثم يختفي ، وكان الراحل الكريم والمصلح العظيم السيد جمال الدين الحسيني الافغاني أحد تلك الاقمار المنيرة ، فقد طلع في سماء هذه الامة كوكباً هادياً كما كان بيد الحق حساماً ماضياً ، بل كان

مناراً يفيض بالنور يهدي الى الحق والى صراط مستقيم ، وقد اختط لنفسه منهاجا واضحا لا غموض فيه ولا ابهام يتلخص في :

ايقاظ الامة الاسلامية من رقدتها ، ولم شعثها وجمع كلمتها، ثم النهوض بها الى سامي مكانتها ، التي تليق بها ،لكي تساير موا كب الامم المتحضرة في تقدمها ، وتساهم في بناء صرح المدنية ، و رفع مستوى الانسانية ، ومع أنه كان يدعو الى منهاجه هذا بالحكمة والموعظة الحسنة فانه لقي في زمانه ارهاقا وعنتا :

لا يستقر بارض أو يسير الى
اخرى بعزم قريب شخصه نائي

***

ولم يزل تتقاذفه الاقطار الشرقية والغربية حتى ألقى عصا التطواف في دار الخلافة الاسلامية يومذاك . وكان عليه في سبيل مهمته تلك أن يحارب الجهل والجاهلين، والجمود والجامدين ،والتفرقة ودعاتها، والباطل والمبطلين ، كما كان عليه ان يؤازر العلم والعالمين،والتجدد والمجددين ،والعدل والعادلين والحرية والمحررين ،ووحدة الكلمة ودعاتها ،والحق واهله .وما زال يجاهد ويجالد و يناضل و يساجل حتى رحل الى جوار ربه راضياً عن مسعاه ،حامداً غب مسراه لانه لم ينحرف عن سبيل الحق قيد شعرة .

ولعمري ان السيد جمال الدين خالد فى تاريخه الحافل بجسيم الاعمال ، العامر بجليل الحسنات،حي فى ذكراه المقرونة بالباقيات الصالحات، وهي خير عند ربك ثوابا وخير عقبى

وما أجدره بقول القائل :

جمال ذى الارض كانوا في الحياة وهم

بعد الممات جمال الكتب والسير

***

أيها الراحل الكريم

هل بلغتك -- ولا أخال إلا أنها بلغتك -- المساعي التي يبذلها زعماء الأمة العربية اليوم في سبيل اقامة بناء الوحدة القومية على امتن القواعد وأرصنها ؟. ولا جرم أن الوحدة العربية تعتبر حجر الزاوية في بناء الوحدة الكبرى التي كنت تنشدها وتدعو اليها أنت وأنصارك من المؤمنين، رضي الله عنك وعنهم أجمعين ، وجملك وأياهم في عداد أهل عليين مع المقربين من الصديقين والشهداء والصالحين ، وحسن اولئك رفيقاً ؟

رسول الاصلاح..

« كلمة حضرة الدكتور السيد خالد الهاشمي
مدير التعليم الثانوي في العراق »

ايها السادة المحترمون

اننا باحتفائنا برفات الراحل الأفغاني العظيم انما نؤدي واجباً مقدساً فللافغاني حامل لواء النهضة الحديثة في الشرق و باعث روح اليقظة والوعي في النفوس ورسول الاصلاح الديني والاجتماعي وداعية الانعتاق من الجهل، دين في الاعناق ،ومن باب الوفاء الاعتراف به واداء البعض منه على الاقل، هذا الى أنه بقطع النظر عن الخدمات والايدي المهمة التي اسلفها الأفغاني للشرق العربي الأسلامي فاننا في معرض تكريم العظمة،لأنها عظمة ،وتكريم العبقرية للعبقرية نفسها،فقد كان المرحوم الافغاني عظيماً بلا مراء ، وعبقرياً بلا جدال ، وقد مات من مضي نصف قرن ولكن أسمه لم يزل داوياً في الاسماع، وآثاره ما برحت حية تنطق بعظم تأثيرها في النفوس ،وما هذا اليوم المشهود الا الدليل الحسن على ذلك .

الرفات في السيارة الخاصة التي نقلته الى المطار المدني

وقد جلس خلفه وجوه الجالية الافغانية

ايها السادة : ان الرفات الفاني الذي صليتم عليه واستمطرتم لروحه الرحمات يضم رجلا كان امة بنفسه فقد اقام واقعد بمفرده امماً وشعوبا ولطالما ارتعدت منه الفرائص ، وهو هو نافخ الروح وباعث النهضات في الافغان وفارس وتركيا ومصر وقد وسعت روحه الدنيا ولم تسعه اقطار الارض كلها فشرق فيها وغرب،واصبح رجل العالم الذي ادخل في دعوته الشرق والغرب.

وهو بالاضافة الى كونه عالماً ومصلحاً دينياً واجتماعياً وزعيماً سياسياً وفيلسوفا فقد كان يحمل قلبا شجاعا لم يخف الموت وانفاً حمياً لم يتحمل الذل ونفساً مترفعة قد ترفعت عن الدنايا وضميراً حراً لم يتردد في الجهر بالحق في وجه كائن من كان ملكا أم صعلوكا . ان هذه الصفات النفسية النادرة التي تحلى بها هذا الافغاني وطراز التعليم الاسلامي الفلسفي الخاص الذي تلقاه وتجاريبه الشخصية الواسعة في مدرسة الحياة الكبرى هي التي كونت منه تلك الشخصية العجيبة التي جمعت فيه روح المعلم الفيلسوف والزعيم السياسي المغامر ومكنته من النجاح في بذر بذور الاصلاح وحمل لواء النهوض والتجديد في الشرق كله ،وله يرجع الفضل بصورة مباشرة أو غير مباشرة في تجديد تراث الاسلام وانقاذه مما لصق به خلال القرون المظلمة من اوهام وجمود فأوضح روحه الصحيحة وكشف عما انطوت عليه من قيم انسانية عظيمة ، وما المصلح الكبير الاستاذ الامام محمد عبده وامثاله من مجددي الاسلام الا من تلامذة الافغاني والمتأثرين بروحه وتعاليمه.اما منهجه الاصلاحي فيتلخص في تبيان الواجبات المترتبة على المسلمين والدعوة الى التمسك بالتقاليد العربية الاسلامية النافعة واظهار روح الاسلام الصحيح

والدفاع عن استعداد المسلمين للتقدم والرقي وتقوية الصلات بين اممهم المختلفة، وفي تدريسه النظامي الذي خالف به الاساليب الجامدة بدروس الفلسفة والمنطق والعلوم العقلية الى ترقية عقول الطلبة وتوسيع آفاق تفكيرهم ليفهموا العالم فهماً عملياً صحيحاً وليتعودوا الحرية في البحث والمناقشة والاعتماد على العقل في استنباط الآراء الصحيحة وتكوينها سواء اوافقت النص ام خالفته وانسجمت مع المألوف ام غايرته .

ورمى في منهجه السياسي الاجتماعي الى تكوين رأي عام واع ناضج وعامل يعرف حقوقه السياسية وكيفية ممارستها و يقدر مسؤولياته الاجتماعية فيضمن بذلك استقلاله الداخلي والخارجي . ولعل من المفيد ونحن في صدد تراث الافغاني العظيم وفي هذا المكان المقدس ننصت لما يقوله الافغاني فينا وما يدعونا اليه : « لقد جمعت ما تفرق من الفكر ولممت شعث التصور ونظرت الى الشرق واهله فاستوقفتني الافغان وهي اول ارض مس جسمي ترابها ، ثم الهند وفيها تثقف عقلي ، فايران بحكم الجوار والروابط ،فجزيرة العرب من حجاز وهو مهبط الوحي ومن يمن وتبابعتها ونجد والعراق وبغداد وهرونها ومأمونها ،والشام ودهاة الامويين فيها والاندلس وحمرائها وهكذا كل صقع ودولة من دول الاسلام ، ما آل اليه امرهم في الشرق والغرب فخصصت جهاز دماغي لتشخيص دائه وتحرير دوائه فوجدت اقتل ادوائه داء انقسام اهله وتشتت آرائهم واختلافهم على الاتحاد واتحادهم على الاختلاف فعملت على توحيد كلمتهم وتنبيههم للخطر الغربي المحدق بهم».

رحم الله الافغاني وتغمد روحه الطيبة بنعيمه و رضوانه ونفع هذه الامة بدرسه وتعاليمه حياً وميتاً والسلام عليكم .

بركة محمد (ص)

« كلمة الاستاذ الشيخ جلال الحنفي باسم رجال الدين »

سلام عليك ايها الرفات المهيب فانما انت بقية نفس عالية مؤمنة عانت ضروباً كثيرة من المحن ، وذاقت الواناً من الارهاق ، واحتملت ما لم تحتمله الجبال من مضنيات الخطوب من أجل الحرية والحق والاسلام ، في أيام كان طلاب الحق فيها من الجنايات ، وكان النداء بالحرية من موجبات الموت وكان العمل لخدمة الاسلام خروجاً على واجبات المحاريب .

فلله تلك النفس الجبارة التي كانت أنموذجاً للنفوس العالية في العزمة والصراحة والثبات .

لله تلك النفس المتواضعة التي ملأ اسمها الآفاق أيام كانت الآذان لا تسمع الا اسماء السلاطين والولاة .

لله تلك الشخصية المؤمنة التي اشتاقتها العروش قبل المنابر ، واكبرها الاعداء قبل الاحباء وركض اليها المجد قبل ان تمشي اليه .

ما اسمى هذا الموكب الجليل الذى هو بعض حقوق المصلحين على الاجيال ؟.

وما أبلغ هذه المهابة التي تجول في القلوب نحو صاحب الرفات ؟. ان ذلك خلاصة

ما يبقى المخلصين من الجزاء ، وانه لجزاء لن يتاح الا لأولئك الذين نسوا انفسهم وذكروا المجموع .

***

سلام عليك ايها الرفات الرميم الذي سيلتئم يوماً ما ليحمل ذلك الجسد البالي من جديد ، فيقف بين يدي الله رب العالمين ليتبجح بما اسلف من صالحات الاعمال،وليتبجح بما كابد من المشاق في سبيل الله،وسيمن عليك الرب العادل باحسن الجزاء وابلغ التقدير ، وقد صدق الله اذ يقول (تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علواً في الأرض ولا فساداً والعاقبة للمتقين .

من جاء بالحسنة فله خير منها ومن جاء بالسيئة فلا يجزي الذين عملوا السيئات الا ما كانوا يعملون) .

ان الذي فرض عليك القرآن لرادك الى معاد ، قل ربي أعلم من جاء بالهدى ومن هو في ضلال مبين .

***

سلام عليك ايها الرفات الطيب .

اني لا اراني شاكا مثقال ذرة في ان ملأ الارواح الطاهرة يرفرف على نعشك بحبور عظيم ليشايعنا في تكريمك وتأبينك ، ولا اراني شاكا مثقال ذرة في أن ملأ الملائكة قد بسطوا اجنحتهم ليحملوك وكم بسطوا لك اجنحتهم من قبل اذ كنت طالب علم وطالب حق وطالب اصلاح ؟.

ما اعظم الايمان اذا جال في القلوب وطاف على النفوس؟. انه يفعل

الخوارق و يأتي بالمدهشات . انه يضيء للنفوس المؤمنة ظلمات الوجود ويهون عليها متاعب الايام و يعبد امامها مسالك الحياة . فمن يملك ان يقوم الايمان بقيمة أو يقدر له ثمناً أو يعدل به شيئاً من غوالي المقتنيات ؟. لقد صدق الله اذ شرح أمر الايمان بكلمتين فقال (فمن يؤمن بربه فلا يخاف بخسا ولا رهقاً) .

ذلكم جمال الدين المسلم العظيم الذي اقام البينة على ان الايمان اذا تسرب الى النفوس أتاح لهـا أعاجيب القوى والقابليات وافاض عليها أعاجيب النشاط والنماء .

انه رجل من الافغان هاجر في أيام الأمية والجهل فاسكت المتبجحين بما أعلن من حقوق الرعايا والافراد وبما بث من دعوة الحق والحرية والاصلاح ، فترك في كل ارض لهباً من الحركة والنشاط والحماس .

انه لاعجوبة من أعاجيب الاسلام وانه لمفخرة من مفاخر الافغان وانه لبركة من بركات ذلك الضئضئ الذي انبته نباتاً حسناً ضئضئ آل بيت محمد (ص) الذين لهم على رأس كل طريق ضياء يهدي السالكين الى السلام والى الخير والى الرشاد .

ان لم يكن جمال الدين قد عمل شيئاً فانه استطاع أن يفهم الأجيال المسلمة ان الاسلام حركة ومقاومة وحياة .

فسلام عليك يوم ولدت ويوم مت ويوم تبعث حياً ؟

الروح العلى ..

« القصيدة الرائعة للشاعر الكبير الاستاذ محمد مهدي الجواهري ـ صاحب جريدة الرأى العام ـ »

هويت لنصرة الحق السهادا   فلولا الموت لم تطق الرقادا

ولولا الموت لم تترك جهادا   فللت به الطغاة ولا جلادا

ولولا الموت لم تفرح فرادى   صعقتهم ، ولم تحزن سوادا

ولولا الموت لم يذهب حريق   ببيانئمة وقد بلغت حصادا

وان كان الحداد يرد ميتاً   وتبلغ منه ثاكلة مرادا

فانّ الشرق بين غدٍ وأمسٍ   عليك بذلّه لبس الحدادا

***

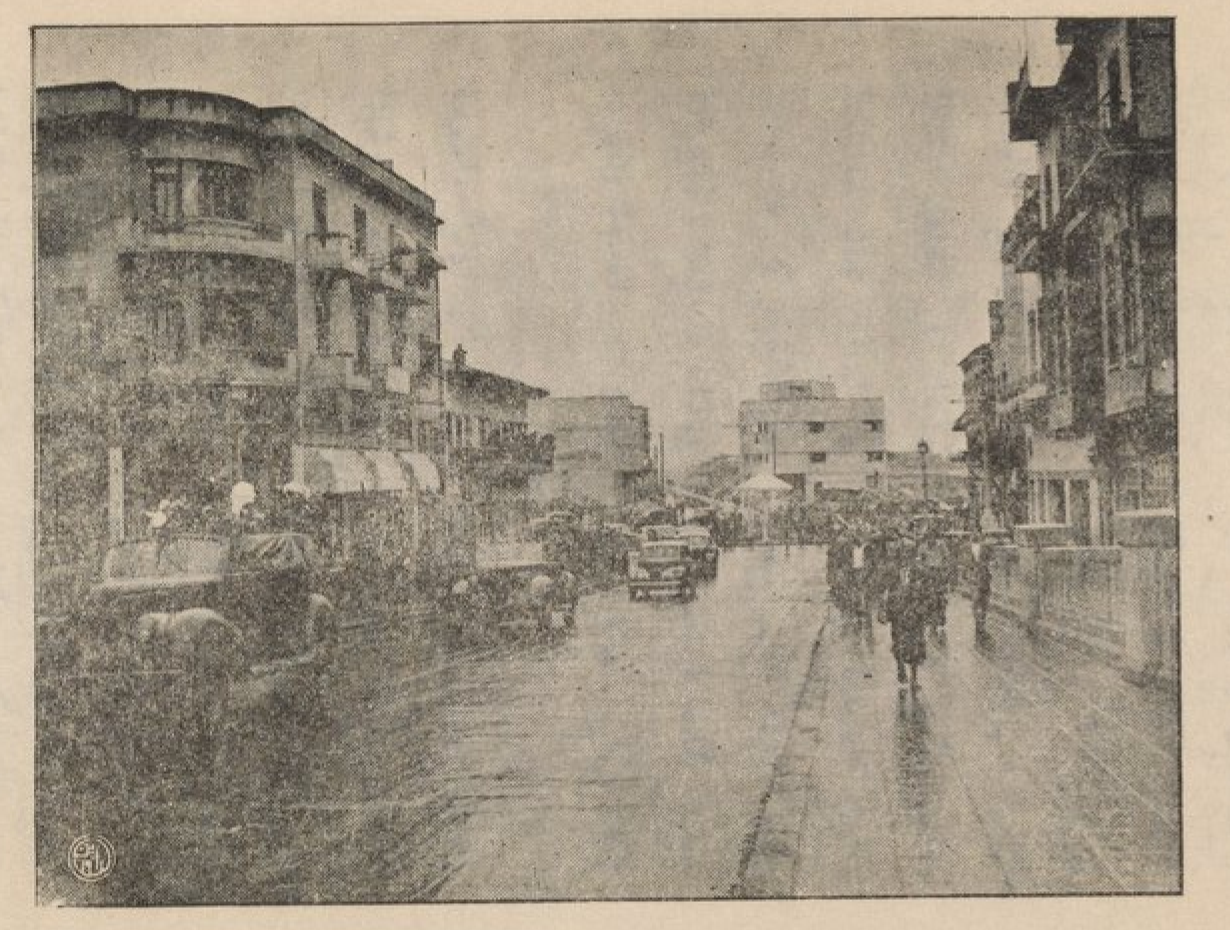
ترفع أيها النجم المسجى   وزد في دارة الشرف اتقادا

ودر بالفكر في خلد الليالي   وجل في الكون رأياً مستعادا

وكن بالصمت أبلغ منك نطقاً   وأورى في محاججة زنادا

فان الموت أقصر قيد باع   بأن يغتال فكراً واعتقادا

***



الرفات يخترق شارع الملك فيصل الثاني وخلفه سيارات المشيعين وجموع الاهلين في طريقه الى المطار المدني

جمال الدين يا روحاً علياً تنزل بالرسالة ثم عادا
تجشمت المهالك في عسوف تجشمه سواك فما استفادا
طريق الخالدين فمن تحامى مصائرهم تحاماه وحادا
كثير الرعب بالاشلاء غطت مغاوره الجماجم والوهادا
جماجم رائدي شرف وحق تهاووا في مجاهله ارتيادا
واشباح الضحايا في طواه على السارين تحتشد احتشادا
وفوق طروسه خطت سطور دم الاحرار كان لها مدادا
شققت فجاجه لم تخش تيهاً ومذئبة وليلا وانفرادا
لانك حامل - ما لا يوازى بقوته - العقيدة والفؤادا

***

وتختلف الدروب وسالكوها وغايتها ، دنواً وابتعادا
ويختلف البناة ورب بانٍ بنى من فكرة صرحاً وشادا
وأنت ازددت من سم ذعاف تذوقه سواك فما استزادا
نضال المستبد يرى انكشافاً عمايته وعثرته سدادا
اذا استحلى غوايته واصغى الى المتزلفين له تمادى
خشيت الله عن علم وحق اذا لم تخش فى الحق العبادا
وجدت اللذة الكبرى فكانت طريف الفكر والهمم التلادا
واعصاباً تشدَّ على الرزايا اذا طاشت وتغلبها اتئادا
ولما كنت كالفجر انبلاجاً «وكالعنقاء تكبر أن تصادا»
مشيت بقلب ذي لبد هصور «تعاند من (تريد) له العنادا»

صليب العود لم يغمزك خوف ولم تسهل على الترف انعقادا
ولم تنزل على اهواء طاغ ولا عما تريد لما أرادا
ولم تجد الاماني والمنايا مبررة عن الحق ارتدادا
ولم أر في الرجال كمستمد من الحق اعتزازاً واعتدادا

***

وكان معسكران الظلم يطغي ومظلوم فلم تقف الحيادا
ولم تحتج ان البغي جيش وان الزاحفين له فرادى
ولا ان الليالي محرجات وان الدهر خصم لا يعادى
وان الامر مرهون بوقت ينادي حين يأزف لا ينادى
معاذير بها ادرعت نفوس ضعاف ترهب الكرب الشدادا
تريد المجد مرتمياً عليها جنى غضاً تلقفه ازدرادا

***

جمال الدين كنت وكان شرق وكانت شرعة تهب الجهادا
وكانت جنة في ظل سيف حمى الفرد الذمار به وذادا
وإيمان يقود الناس طوعاً الى الغمرات فتوى واجتهادا
وناس لا الحضارة دنستهم ولا طالوا مع الطمع امتدادا
وكانت « عروة وثقى » تزجى لمنقسمين حباً واتحادا
ونية ساسة بسطت فبانت ووجه سياسة جلى وكادا
وحكم كالدجى عريان صاف فلم ينكر اذا انتسب السوادا
ولم يدخل من الالوان ظلا يلوذ به انتقاصاً وازديادا

دجى قسراً وساد ، وكان شهماً صريحاً انه بالرغم سادا
وجئت ورفقة لك كالدراري لضلال بغيهبه رشادا
تصد عبابه وجهاً لوجه وتزجه انعكاماً واطرادا

* * *

جمال الدين كنت وكان عهد سقيت لما صعدت له العبادا
نما واشتط واشتدت عراه وزاد الصامدون له اشتدادا
مشت خمسون بعدك مرخيات أعنتها ، هجاناً لا جيادا
محملة وسوقاً من فجور وشامخة كمحصنة تهادى
تحورت السياسة عن مداها إلى أنأى مدى واقل زادا
وبات الشرق ليلته سليماً على حالين ما اختلفا مفادا
على حكمين من شفع ووتر عصارة كل ذلك ان يسادا
ولطفت الابادة ، فهو حر باي يد يفضل ان يبادا
فكم في الشرق من بلد جريح تشكى لا الجروح بل الضمادا
تشكى بغي مقتاد بغيض تأبى أن يطاوعه انقيادا

لقاء هاشمي ..

« كلمة سعادة الاستاذ الكبير السيد احمد زكي الخياط
مدير الدعاية العراقية العام ورئيس لجنة الاحتفال »

سادتي الافاضل

باسم لجنة الاحتفاء اردت القاء كلمة الختام .

الافغان بلد شرقي جميل هو منبت الرجولة والاباء ، والشعب الافغاني شعب باسل جريء تتجلى فيه خير صفات الانسان ، كان له اثر في تشييد المدنية الشرقية ، وهو اليوم بقيادة مليكه الظاهر الحكيم سائر قدماً لاستعادة مجده الغابر . والسيد محمد جمال الدين الافغاني من نتاج هذا الشعب النجيب ، انه مصلح كبير وعلوي صحيح النسب باجماع الآراء . تزعم في هذا الشرق الاسلامي ردحاً من الزمن حركة اصلاح شاملة قاسى في سبيلها النفي والتشريد وكابد من أجلها الابتعاد عن الاهل والوطن ، والعراق الآن يحتفى برفاته كما احتفى به حياً ، و يسر العراق الاحتفاء برفات هذا الزعيم الذي اخلص النية في خدمة الشرق ، فان كثيراً من تعاليمه على ما اعلم تدرس اليوم فى معاهدنا العلمية ، وانه لمن الطريف حقاً أن يكون

العراق طريقاً لهذا السيد الجليل في جميع اسفار نفيه ورحلات اصلاحه مشرقاً كان أو مغرباً .

لقد لاحق الاستبداد هذا الرجل الحر فى كثير من انحاء الشرق ـ فكان رحمه الله ـ يرى فى العراق ملاذاً يفيء اليه ايام محنته ولو كان ذلك الى امد قصير . وها هو اليوم. و بعد مرور قرابة الخمسين عاماً على وفاته ، يمر بنا رفاته هذا المرور التاريخي بطريق عودته الابدية ، من فروق الى وطنه الاول .

لقد كسب هذا المصلح المعركة في الاخير حيث انتصرت مبادئه القويمة وانتشرت تعاليمه الفاضلة ، وانه وان لم يكن ليشهد الآن بذاته اثر اصلاحه الحميد ، الا انه ليشهد ذلك بروحه المستبشرة بما ترى فى هذه الحفاوة فالشرق اليوم غيره بالامس، اذ الحرية والحق هدفاه وما يصبو اليه في الحياة، وهذا من ثمار ذلك الاصلاح الخطير

***

العلويون ـ ايها السادة ـ قادة الحركات التحريرية وزعماؤها الاقدمون ، فانهم اثقلوا كاهل التاريخ بضحاياهم التى قدموها عن رغبة فى سبيل الحرية والفضيلة، وما هذا العلوي صاحب هذا الرفات الا واحد من الوف منهم تقدموه .

وانه لمن الطريف كذلك ان اذ كر فى موقفي هذا صدفة تاريخية موفقة لعلويين عظيمين كلاهما كانٓ في ساحة المجد زعيم نهضة وحامل راية تلك الصدفة المحببة هي، أن شاءت الظروف أن يتخذ السيد محمد جمال الدين من ضفاف البوسفور مقاماً له ، وهو شيخ جليل ، وأن يشرف الاستانة في ذلك الوقت شريف علوي مرهف العزيمة ، همام ، في مقتبل العمر وعنفوان

الشباب ، قد اربى على الثلاثين قليلا ، استقدم ضيفاً على السلطان للاقامة فيها فكان للمصلح جمال الدين وهو عليم بمزايا القادم الكريم ، في جملة المستقبلين المرحبين . وما كان ذلك القادم الخطير غير الحسين بن علي جد الأسرة الهاشمية المالكة في العراق وزعيم نهضة العرب فى فجر هذا القرن.

زعيمان خطيران شيخ وفتى. اما الشيخ فحكيم جليل صقلته التجارب والاحداث ، واما الشاب فأمير مشبوب الوطنية كله فتوة وطموح ، اجتمعا فاجمعا على انقاذ الشرق مما هو فيه من داء و بيل .

انظروا الى هذه الصدفة التاريخية النادرة المباركة التي جمعت بين هذين الدماغين المتقدين حيث دام هذا اللقاء نحواً من خمس سنين ، فكانت هذه الأعوام على ما أرى قد وجهت مستقبل العرب السياسي نحو الحياة الحرة الطليقة منذ ذلك الحين .

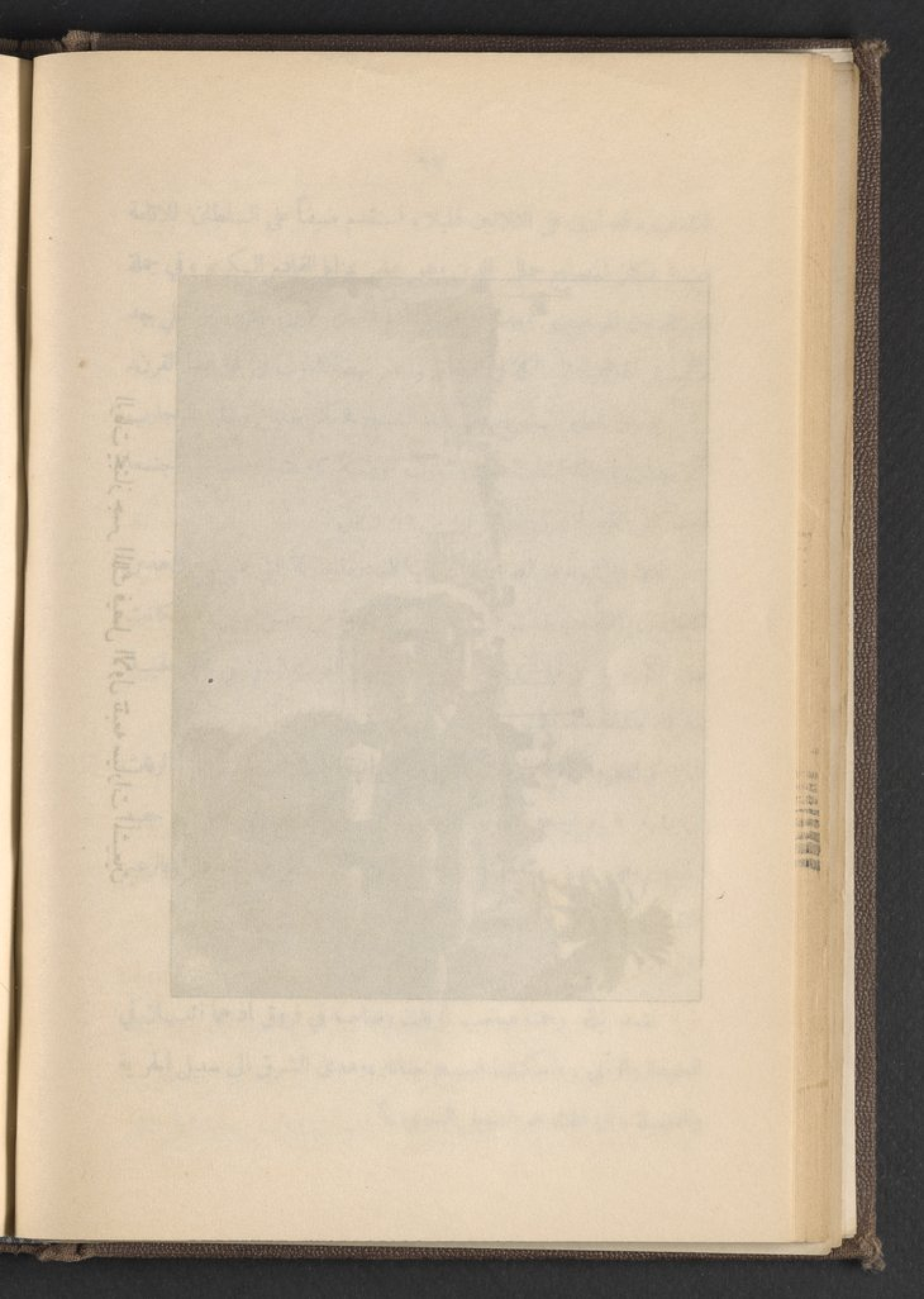
ثم انظروا كيف اتاحت الظروف المواتية الجميلة لصاحب هذا الرفات أن يشهد اليوم بروحه مملكة العراق يكلل مفرقها تاج فتى الهواشم حفيد الحسين وهي تحتفي برفاته على ضفاف دجلة كما احتفى هو من قبل بالزعيم المنقذ على شواطيء البوسفور .

***

تغمد الله برحمته صاحب الرفات وصاحبه في فروق اذ هما اثنان في العقيدة والرأي ، واسكنهما فسيح جنانه ، وهدى الشرق الى سبيل الحرية والفضيلة ، ان ذلك هو السبيل السوي ؟



الرفات يجتاز جسر الملك فيصل الاول تتبعه سيارات المشيعين



الشعبان الأخوان ..

« كلمة صاحب المعالي السيد عبد الرحمن خان
وزير الافغان المفوض في العراق »

باسم حكومة جلالة ملك افغانستان و باسم الشعب الافغاني و بالاصالة عن نفسي اقدم اجزل الشكر واخلص الامتنان لاصحاب المعالي والسعادة الوزراء والأعيان والاشراف والعلماء والأدباء والتلاميذ واعضاء اللجنة وجميع الشعب العراقي النجيب الذين تفضلوا وشرفونا بحضورهم هذا الاحتفاء .

سادتي : في الحقيقة والواقع ان الشعور النبيل والتقدير الجم اللذان شملتنا بهما الحكومة العراقية النجيبة بمناسبة مرور رفات فيلسوف الاسلام السيد جمال الدين الافغاني لأكبر دليل على اواصر المحبة والاخاء المتبادل بين القطرين الاسلاميين العراق وافغانستان ، وأني حين أغادر بغداد ومعي رفات السيد العظيم سأحمل اجمل الذكريات عن العراق وسأبلغ حكومتي وابناء وطني عما احطتمونا به من الشرف العظيم والتقدير الكبير ، واختم مقالي بالهتاف :

ليحي جلالة الملك فيصل الثاني ملك العراق .. ليحي جلالة الملك محمد ظاهر شاه ملك الأفغان .. ليعش الشعب العراقي النبيل .. ليعش الشعب الافغاني .. لتدم المودة والوئام بين الممالك الاسلامية .

والسلام عليكم ؟

دعاء ..

« الدعاء الذي القاه الاستاذ الشيخ جلال الحنفي على الرفات الطاهر بعد انتهاء الحفل » .

الحمد لله كما ينبغي لجلالة وجهه وعظيم سلطانه نحمده ونستعينه ونتوب اليه ونستغفره ونعوذ به من شرور انفسنا وسيئات اعمالنا ، (من يهدالله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له ..) .

ونشهد ان لا إله الا الله وحده لاشريك له .. ونشهد ان سيدنا محمداً اشرف الأحياء وافضل الاموات عبده ورسوله صلى الله وسلم عليه وعلى آله واصحابه وذرياته وجميع المؤمنين على التخصيص منهم صاحب هذه الحضرة المباركة الرجل الفاضل والعالم الكامل الشيخ عبد القادر وصاحب هذا الرفات الطيب السيد محمد جمال الدين الأفغاني فقيد الأصلاح والجهاد والعمل الصالح .

اللهم اكتب لهم فى هذه الدنيا حسنة وفي الآخرة .

اللهم اجعل عليهم صلواتك وبركتك وامطر عليهم شآبيب رحمتك ورضوانك واجعل لهم نوراً من عندك يهتدون به .

اللهم امنن عليهم جميعاً ببركات سورة الفاتحة ؟

شارع الافغاني ...

ولقد شاء مجلس أمانة العاصمة ، أن يشارك الأمة شعورها ، وأن يخلد هذه الذكرى الطيبة ، فهي أجدر من سواها بالتخليد ، فقرر بجلسته المنعقدة في ٢٤ ذي الحجة ١٣٦٣ ﻫ (١٠ كانون الاول ١٩٤٤ م) تسمية أحد شوارع العاصمة الرئيسية باسم الافغاني ، وكانت الفقرة الخامسة والخمسين من قرار المجلس في تلك الجلسة تنص على ما يلي :

« قرر المجلس تسمية الشارع الذي يبتدئ من ساحة عنترة بن شداد وينتهي بالسدة الشرقية الحديثة والمحاذية لبناية النادي الرياضي الملكي العراقي والذي عرضه ٢٠ متراً باسم (شارع محمد جمال الدين الافغاني) وذلك بمناسبة مرور رفاته بعاصمة العراق » .

. . . .

البصرة تودّع

و بين البصرة ثغر العراق الباسم ، و بين الأفغاني ذكرى قديمة ، من حق أبنائها اليوم أن يجددوها ، ذكرى احتضانهـا الافغاني يوم حلها مريضاً يتحاشى الناس السلام عليه ، و يخاف القوم من الرؤية له ، فكأنه لم يكن الافغاني المجاهد ، والافغاني الفيلسوف .

ولئن هزأت البصرة في ماضيها بامر الحـكام الطاغين وآوت الافغاني ، وهدهدت آلامه ، وقدمت له اكسير الشفاء ، لانها تعرف من هو الافغاني ، ولأن ابناءها ـ وهم المشهورون بحميد الخصال من غيرة وكرم ، وسخاء وشمم ـ يعرفون كيف يقدرون العظماء المصلحين ..

لئن فعلت البصرة هذا فى ماضيها ، فارضت السيد في حياته ، واشعرته ان في العراق نفوساً أبية ، هي البصرة التي تقدم اليوم للافغاني أبناء رجال الأمس ، ليسيروا بارواحهم الفتية ، وعزماتهم الأبية ، في موكبه ، وليودعوا باسم العراق رفاته الخالد الوداع الأخير .

هكذا استقبلت البصرة الافغاني حياً بالأمس ، وهكذا استقبلته

رفاتاً اليوم ، فكانت في الحالتين مثار الغيرة القومية ، والنخوة العربية ، والعزة الاسلامية ..

ولقد تهيأت البصرة قبل وصول الرفات اليها بايام لتنظيم احتفالها الزاهي ، فاعلنت اسماء لجنة الاحتفال ومنهجه ببيان هذا نصه :-

١ — تؤلف لجنه الاحتفال برفات المصلح الكبير السيد محمد جمال الدين الأفغاني من الأعضاء الآتية أسمائهم :-

آ — معاون متصرف اللواء

ب — مدير منطقة المعارف الجنوبية

ج — رئيس البلدية

د — مدير شرطة اللواء

ه — مدير منطقة أوقاف البصرة

٢ — يؤمل وصول الرفات الى محطة المعقل قريباً وستعلن اللجنة الموعد بالضبط بعد التأكد من المراجع المختصة .

٣ — عند وصول الرفات المحطة تستقبله اللجنة معثلة من حرس الشرطة وتذهب به الى جامع المقام بالعشار حيث يبقى هناك حتى ساعة نقله الى الباخرة . وفي خلال ذلك تتخذ الترتيبات لتنسيب بعض المجودين لتلاوة القرآن الكريم عند الرفات طيلة مدة مكوثه في الجامع وتبقى ثلة من الشرطة قائمة بحراسته حتى انتهاء التشييع .

٤ — يحمل الرفات عند التشييع من جامع المقام الى السيارة على أكتاف نخبة من الشباب حيث يودع الباخرة .

٥ — يؤلف موكب التشييع من موكب من السيارات تتقدمه سيارة من سيارات الشرطة تحمل الرفات و يساهم في موكب التشييع متصرف اللواء ورؤساء الدوائر ووجوه البلد وعلمائها .

ولقد وفت بما اعلنت ورغم المفاجأة بتغيير واسطة نقل الرفات فقد هرعت المدينة الى مطار شط العرب وراحت جريدة الثغر البصرية الغراء تصف لنا الاحتفال بعددها الصادر في اول محرم الحرام ١٣٦٤ هـ (١٧ كانون الاول ١٩٤٤) قائلة : ـ

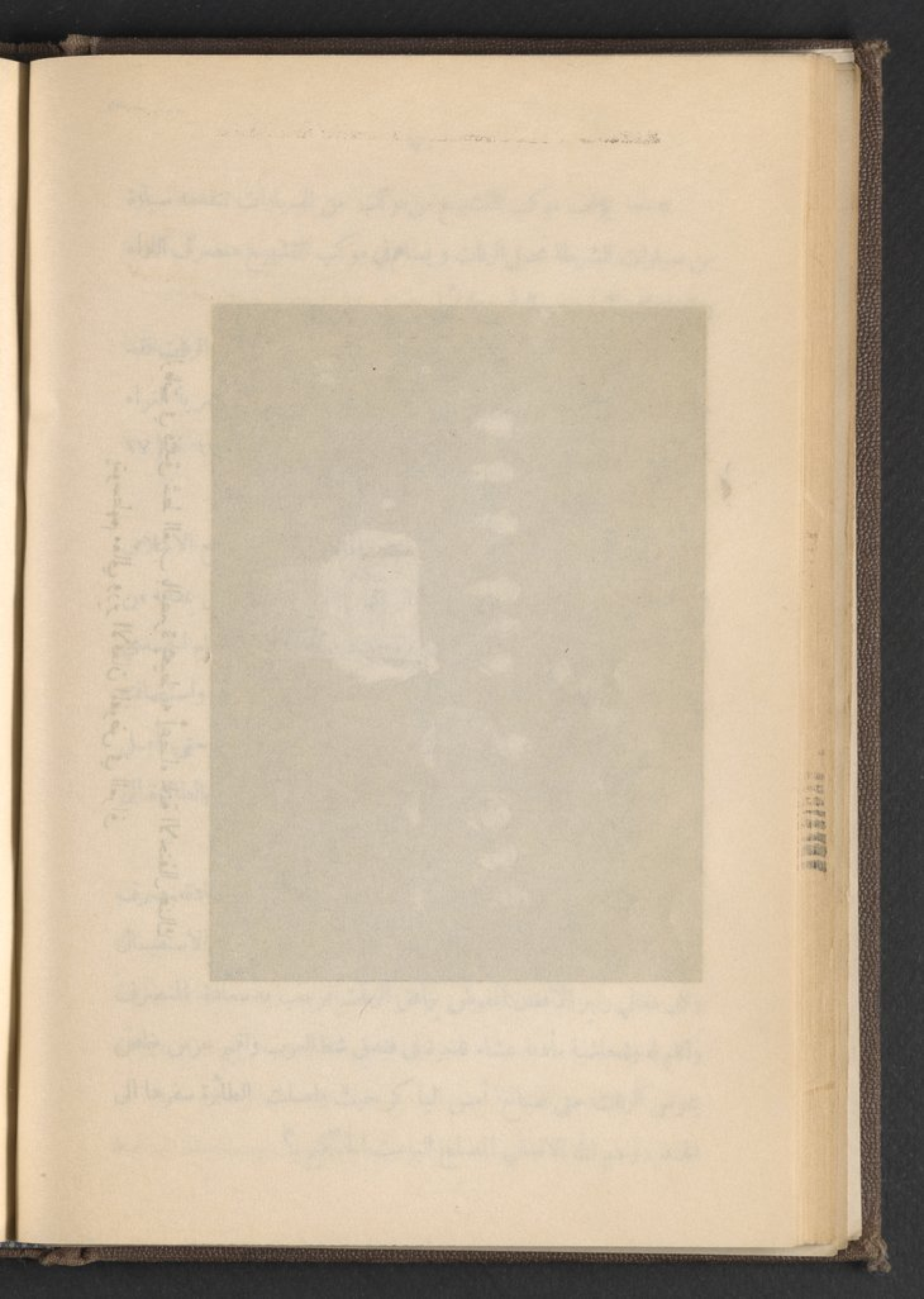
« استقبلت البصرة عصر يوم الخميس الماضي رفات المصلح الاسلامي العظيم والمجاهد الكبير السيد محمد جمال الدين الافغاني بما يليق بمقامه من التجلة والاحترام ـ كما استقبلته عام ١٣٠٨ هـ يعاني آلام السقام الجسدي والنفساني مما يلاقيه في سبيل عقيدته ومبادئه الاصلاحية ـ واستضافته بالرحب والسعة واحاطته بكل ضروب الحفاوة والتكرم ، حتى أبل من مرضه رحمه الله وغادرها ، كما غادرت رفاته صباح أمس بالطائرة الى مسقط رأسه .

وعندما هبطت الطائرة في ارض الميناء الجوي بمعقل كان سعادة متصرف اللواء ووجوه المدينة واشرافها ومدير الشرطة ورئيس البلدية في الاستقبال وكان معالي وزير الأفغان المفوض يرافق الرفات فرحب به سعادة المتصرف واقام له وللحاشية مأدبة عشاء فاخرة في فندق شط العرب واقيم حرس خاص يحرس الرفات حتى صباح أمس الباكر حيث واصلت الطائرة سفرها الى الهند . رحم الله الافغاني المصلح الباعث الحكيم »



الرفات في فندق شط العرب بالبصرة يحيط به أعضاء لجنة الاحتفال هناك

يتوسطهم معالي وزير الافغان المفوض في العراق



شعور الصحافة

ان دين الاسلام فتح ابواب الشرف في
وجوه الانفس ، وكشف لها عن غايته، واثبت
لكل نفس صريح الحق في أي فضيلة ،
فاذا اخذت نفوس الناس حظها من هذه
الصفة ، اعني الاقبال على وجوه الشرف ،
تسابق كل مع الآخر، في مجالات الفضائل
وتمادت بهم المجاراة الى محاسن الاعمال .

« جمال الدين الحسيني الافغاني »

ولئن كان السيد محمد جمال الدين الافغاني ـ اسكنه الله فسيح جنانه ـ مشكاة اليقظة الفكرية في الشرق ، اهتدى بها المهتدون ، واسترشدوا بضوئها فادوا رسالتهم خير اداء ، و بذروا في كل بقعة من بقاع هذا الشرق ـ خاصة الاسلامي ـ بذور الاصلاح والسداد .. فان روح الافغاني،لازالت تلهم ابناء هذه الدنيا دروس المجد والعظمة وتبعث في نفوسهم قوة جبارة تدفعهم لبلوغ ما يصبون اليه ، وما به يحلمون ..

وليس نصف القرن من الزمن الذي مضى على وفاة هذا المصلح الخطير والزعيم الهاشمي الجليل ، وليس الأيام القادمة ، مهما بلغت ، تقدر أن تمحي من الفكر طيف هذا الشعاع العلوي الهادي ، وتباعد بين تعاليمه و بين أبناء العصر ، انما هي على العكس من ذلك ازادت صلته بابناء الحياة ، فهو يعيش فى الدنيا ما بقيت الدنيا ، بعبقريته ونبوغه ، بنهجه وروحه ، برسالته وقوة شخصيته ..

وحملة اليراع في العراق ، الذين استمدوا من الافغاني وغير الافغاني من المصلحين المجددين ، الدرس والروح ، لم يسمعوا بنبأ نقل رفاته الطاهر عبر وطنهم ، الا وهبت قرائحهم ، تعطر الاجواء التي يحلق بها ذلك الروح

العلي ، بشذى الوفاء والاخلاص ، ويقدموا لذلك الروح اضمامة عبوقة من العواطف الندية التي الهبها الافغاني بموقفه العتيد ، ويعبروا أصدق تعبير عما يكنه العراق لهذا الهاشمي النبيل ، العراق الذي اتخذ من آل البيت هادياً ومرشداً يعينه في الحياة ، ويبلغ به ذروة المجد ، العراق الذي يتفيأ اليوم ظلال الدوحة الهاشمية المباركة ، آمناً مطمئناً ، مزهواً فخوراً .

***

ولقد نقلت الصحافة العراقية للملأ بغبطة وسرور ، ما جاشت به اقلام ادباء الوطن ، وشاركتهم غناء الافغاني البطولي ، فادت واجب الوفاء لرجل كان من دنياها الضمير الحي ، والعزم الاريحي ، فكانت بحق المرآة الصافية التي انعكست عليها صورة الادب العراقي الرفيع ، والفكر الحر .

ونحن اذ نضم فى هذا الكتاب نتاج تلك القرائح المرهفة انما نقدمها واياهم صورة ناطقة بوفاء العراقيين لهذا المصلح لتقرأها الدنيا ، فتعرف ان العراق الذي عرف بمواقفه المشرفة في مجالي الحرية والاباء ، والاصلاح والتجديد ، هو العراق الذي يعرف كيف يحتفي برجال الفكر العالميين ، وكيف يحلهم الصدارة من مجالسه ، إن أحياء أو تحت طي الثرى ، فالفكر المنتج عنده هو الفكر ، لا تؤثر عليه حياة صاحبه أو مماته ، اذ هو باق في آرائه وتعاليمه وخططه الاصلاحية ما بقيت الحياة .

فلنتجه بقلوبنا الى هذه الصفحات العاطرة من الكتاب ، نستشف منها روح العراق الفتية الحية ، تسير بالموكب العلوي الجليل ؟



الرفات خلف تمثال باني مجد العراق المغفور له صاحب الجلالة الهاشمية الملك فيصل الاول

« الشخصية الجبارة »

«من حسن الصدف ان يكون الكاتب المصري الكبير الاستاذ ابراهيم عبد القادر المازني ضيفاً على العراق في بغداد يوم مرور رفات الافغاني ، فساهم مع ادباء القطر بتكريم العبقرية الفذة ، فاذاع مقاله هذا الممتع من دار اذاعة بغداد ونشرته جريدة الرأي العام الغراء بعددها الذي صدر خاصا بذكرى الافغاني . »

لم ادرك السيد جمال الدين الافغاني في حياته ، ولكن الله اكرمني بان يسر لي الوجود في بغداد يوم ممر رفاته بها الى مسقط رأسه في بلاد الافغان ، وما له في الحقيقة موطن خاص فانه رجل الشرق كله ، وابن الاسلام والعروبة أجمع ، فلكل بلد عربي أو اسلامي حق فيه لا ينازع ولا ينكر .

وليس من عادتي الاسف على ما يفوتني بالغاً ما بلغ ، ولكن ما عرض ذكر السيد جمال الدين الا ادركني الأسف وشاع في نفسي لان الزمن لم يتقدم بي بضع عشرات من السنين فاصل أسبابي باسباب هذا الرجل النادر ، وأقبس من روحه الساحرة التي كانت كأنها مولد كهربائي ضخم يبعث الحرارة والقوة والحيوية في حيثما حل ، فما كان السيد جمال

الدين أوحد أهل زمانه في العلم أو الفلسفة أو الذكاء وحدة الفؤاد، ولكنه كان على التحقيق، و بلا ادنى مراء، أوحد رجال عصره في قوة الشخصية وسحرها، وفي ايمانه بنفسه و بقدرته على ادراك ما يسعى له وتحقيق ما يدعو اليه، وتنزهه عن كل غاية شخصية أو مأرب ذاتي. فما كان يسعى لمجد يفيده، أو مال يصيبه، أو حكم يتولاه، وما جنى هو من مساعيه الا الاخطار والتشريد، وانما كان همه ومنى نفسه جميعاً ان يوقظ هذا الشرق من رقاده الطويل، وان يبتعث همته الدانية، و ينشله من وهدة الجهالة التي اخمدت روحه، و يجمع كلمته، و يدفعه الى التماس القوة والعزة، ولا سبيل اليهما بغير الحرية والعلم.

ولم تكن دعوته مقصورة على العرب وان كان منهم فقد كان ابعد من ذلك مطارح همة، وكانت دعوته اسلامية عامة شاملة تنتظم البلدان والامم الاسلامية من حدود الصين الى شاطيء المحيط الاطلسي، ولم يكن هذا منه طموحاً نظرياً، أو مجرد أمل يحلم به، فقد كان يجوب الارض ويركب البحر، ويزور بلاد العرب والاسلام واحداً واحداً، وما دخل بلداً إلا ترك فيه حركة قوية، وكان له فيه اثر عظيم باق الى يومنا هذا، فاذا قلنا انه عظيم «يعي الزمان مكان نده» كما يقول البحتري، لم نكن مبالغين.

وقد جاء الى مصر قبل الثورة العرابية بزمن غير وجيز، وكان هو الذي هيأ النفوس وأعد الاذهان لها ولما تلاها الى يومنا الحاضر. ولم يكن وهو بمصر يقصر همه عليها بل كان معنياً كذلك بتركيا وايران والافغان والهند

وغيرها ـ واذا قلت تركيا فاني اعني الدولة العثمانية كلها بما كان يدخل فيها من بلاد العرب قاطبة ـ وقد اتصل في مصر برجال الدين والسياسة ، و بث فيهم روحه ، وكانت له حلقة يلقي فيها دروسه الدينية ، ومبادئه السياسية الحرة التي سبق بها كتاب الغرب الاحرار ، وقد تولى عن المصريين مطالبة الخديو اسماعيل باعلان نظام الحكم الدستوري ، والنصح للخديو توفيق باقامه حكم البلاد على قواعد الدستور ، لا كمنحة بل كحق . ولم يعلمن الدستور ، فى ايامه ، بمصر ولكنه هو اقصي عن مصر .

ولما استقل السفينة من مصر ، جمع له لفيف من تلاميذه والمعجبين به مبلغاً من المال يستعين به ، وقدموه اليه ، فابى ان يتقبله ، وشكرهم وقال لهم كلمته المشهورة :

« إني كالاسد لا أعدم قوتاً أينما كنت »

***

واشهر تلاميذه المصريين وأعظمهم وأرفعهم قدراً الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده ، ومما يستحق الذكر لعظم دلالته على قوة شخصية السيد جمال الدين ، أن الشيخ محمد عبده ، كان يرى فى الفترة التي سبقت الثورة العرابية ، التدرج في الاصلاح حتى تنضج البلاد سياسياً لحكم نفسها بنفسها ، وقد ادخل اصلاحات كثيرة في مصر في عهد وزارة رياض باشا الذي كان يثق به ويكله الى رأيه ، ثم قامت الحركة العرابية ، وسارت باسرع مما كان ينتظر ، وكان غرضها تحرير المصريين والتخلص من عناصر الترك والشراكسة المتحكمين المستولين على المناصب في الادارة والجيش

ومضت الى غايتها في جو من الدسائس الاجنبية والاطماع الدولية ، فخشى الشيخ محمد عبده العاقبة ، وكان بعيد النظر سديد الرأي ، فتوقع اذا لج العرابيون فيما هم فيه ، ولم يتحرزوا أو يتوخوا الاعتدال ، أن ينتهي الامر باحتلال الانكليز لمصر ، فكان لهذا يقاوم العرابيين مقاومة شديدة وينعي عليهم قصر نظرهم وقلة تبصرهم ، ويبسط فيهم لسانه ، حتى ضجوا وهددوه بالقتل اذا ظل يعترض طريقهم ويناوئهم ، واراد بعض العرابيين من اصدقاء الامام أن يصلح ما بينه وبينهم ، وانا اعرف هذه القصة لأن الذي حاول اصلاح ذات البين من اقربائي ، ولأن بيت جدي كان هو مكان الاجتماع . وتكلم العرابيون ، وتكلم دعاة التوفيق ، ثم تكلم الاستاذ الشيخ محمد عبده ، فاصر على رأيه أنّ العرابيين باندفاعهم سيجرون على البلاد الاحتلال الاجنبي . فاخفقت المساعي المبذولة للصلح والتوفيق.

وكان ابي من رجال الازهر ، وزملاء الشيخ محمد عبده في الدراسة وتلاميذ السيد جمال الدين ، وان كان لم ينبغ كما نبغوا ، فسأل الشيخ محمد عبده قائلا :

« أكنت تلج هذه اللجاجة في عنادك مع العرابيين لو كان السيد جمال الدين في مصر ؟ » .

فكان جواب الشيخ محمد عبده هذه الكلمة المترعة :

« يا محمد (فقد كان ابي اسمه محمد) لو كان السيد جمال الدين هنا لما قامت الحركة العرابية ولا احتاج أحد اليها ، لأن السيد كان يغني بشخصه عن كل ذلك » .

وتمثل ببيت من رثاء المتنبي :

كان من نفسه الكبيرة في جيـ

ش وإن خيل انه انسان

ولما استفحلت الحركة العرابية وضرب الاسطول الانكليزي الاسكندرية ، انضم الشيخ محمد عبده الى العرابيين ، ووضع يده في ايديهم ، لأن الواقعة قد وقعت ، وكان ما خاف أن يكون ، فلم يسعه الا أن يكون مع قومه ـ ولو كانوا مخطئين ـ على الغريب ، وكان يتمثل ببيتي الحماسة :

بذلت لهم نصحي بمنعرج اللوى

فلم يستبينوا الرشد إلا ضحى الغد

وهل أنا إلا من غزية إن غوت

غويت ، وإن ترشد غزية ارشد ؟

***

والواقع ان السيد جمال الدين كان كما وصفه تلميذه الاكبر الشيخ محمد عبده ، من نفسه الكبيرة في جيش . وهو الذي يرجع اليه الفضل الأول في قيام الحركة الدستورية فى تركيا ومصر وايران ، وقد خشيه سلطان تركيا وشاه ايران وخديو مصر . ومما يذكر في هذا الباب ان شاه ايران شقى بما كان يقول فيه السيد جمال الدين ، فوسط سلطان تركيا ، فدعاه السلطان اليه وشفع عنده للشاه ، فقال السيد كلمته المشهورة : « عفوت عن الشاه » أو قيل إنه قال عفوت الشاه !

ولم يكن السيد ذا مال ، أو دولة ، أو جيش ، أو عصابة ، وانما كان ذا روح عظيمة ، وشخصية قوية ، وسحر لاقبل لأحد بمقاومته ، ولسان عال ، و بيان خلاب ، و بهذه الشخصية الفذة استطاع ان يبث الثورة و يضرم نارها في كل بلد حل به ، واقام فيه ، ولو شهوراً .

ولم تكن دعوته في الفوضى بل الى الحرية والاصلاح والدستور ولم شمل العالم الاسلامي وتبو يئه مكانة بين امم الارض ، وكان ما قام فى البلاد الاسلامية الى اليوم من حركات فى سبيل الحرية والاستقلال والدستور ، راجع في مرد امره اليه .

***

وعهدنا بالدنيا انها لا تجود بامثاله كل يوم ومن المصادفات الميمونة ان رفاته يمر بالعراق في الوقت الذي قويت فيه حركة الجامعة العربية ، وزخر تيارها وآذنت بالثمرة المشتهاة . ولو كان السيد دارياً لطاب نفساً بهذا ، فما كان يقصد الى ادماج بلد فى بلد ، أو افناء شخصية امة فى امة اخرى ، بل ، كان همه ايقاظ هذه الامم عربية كانت او غير عربية ، وابتعاثها من نومها ، وانهاضها ، وتوجيهها وجهة الخير والصلاح ، وايتائها حقها فى الحرية ، وتزويدها بالعلم وتسليحها بالمعرفة .

رحمه الله ، ونفعنا بذكراه فانه من القليلين الذين يؤثرون بعد ان يمحي ظلهم ومضوا في سبيل من غير مثل تأثيرهم لما كانوا على قيد الحياة .

الافغاني في بغداد

لسعادة الدكتور محمد مهدي البصير
استاذ الادب العربي بدار المعلمين العالية

مر المصلح الكبير المرحوم جمال الدين الافغاني ببغداد قبل ستين سنة تقريباً ، وكان عليها اذ ذاك وال يعد نفسه من العلماء ، و يعده الناس كذلك من العلماء ، وهو سري باشا صاحب التفسير المعروف « بأحسن القصص » فكان لجمال الدين على الباشا حق العالم وحق الضيف على المضيف ولكنه لم يحفظ له حق العالم ولا حق الضيف ولا حق الانسان، وانما أخذ يلاحقه و يضايقه ويحصي عليه اقواله واعماله ، وحركاته وسكناته ، بل انه تعدى ذلك إلى مطاردة اصدقائه واودائه الذين عرفوا فضله فأكرموا وفادته وأدوا اليه بعض حقه فضاق المصلح الكبير ذرعاً بهذه المعاملة السيئة وترك بغداد على جناح السرعة وفي قلبه حسرة وفي نفسه ألم . وطبيعي أن سري باشا انما فعل ذلك حرصاً على وظيفته وطمعاً في المزيد من رضاء مولاه السلطان عبد الحميد الذي كان يلذ له أن يبطش ما وسعه البطش بكل مفكر حر يرى أن الانسان خلق حراً و يجب أن يعيش حراً ، و يدين بأن الحكام أجراء الشعوب ، وانه حرام عليهم أن يؤثروا منافعهم على منافع رعاياهم ، وأن يقدموا

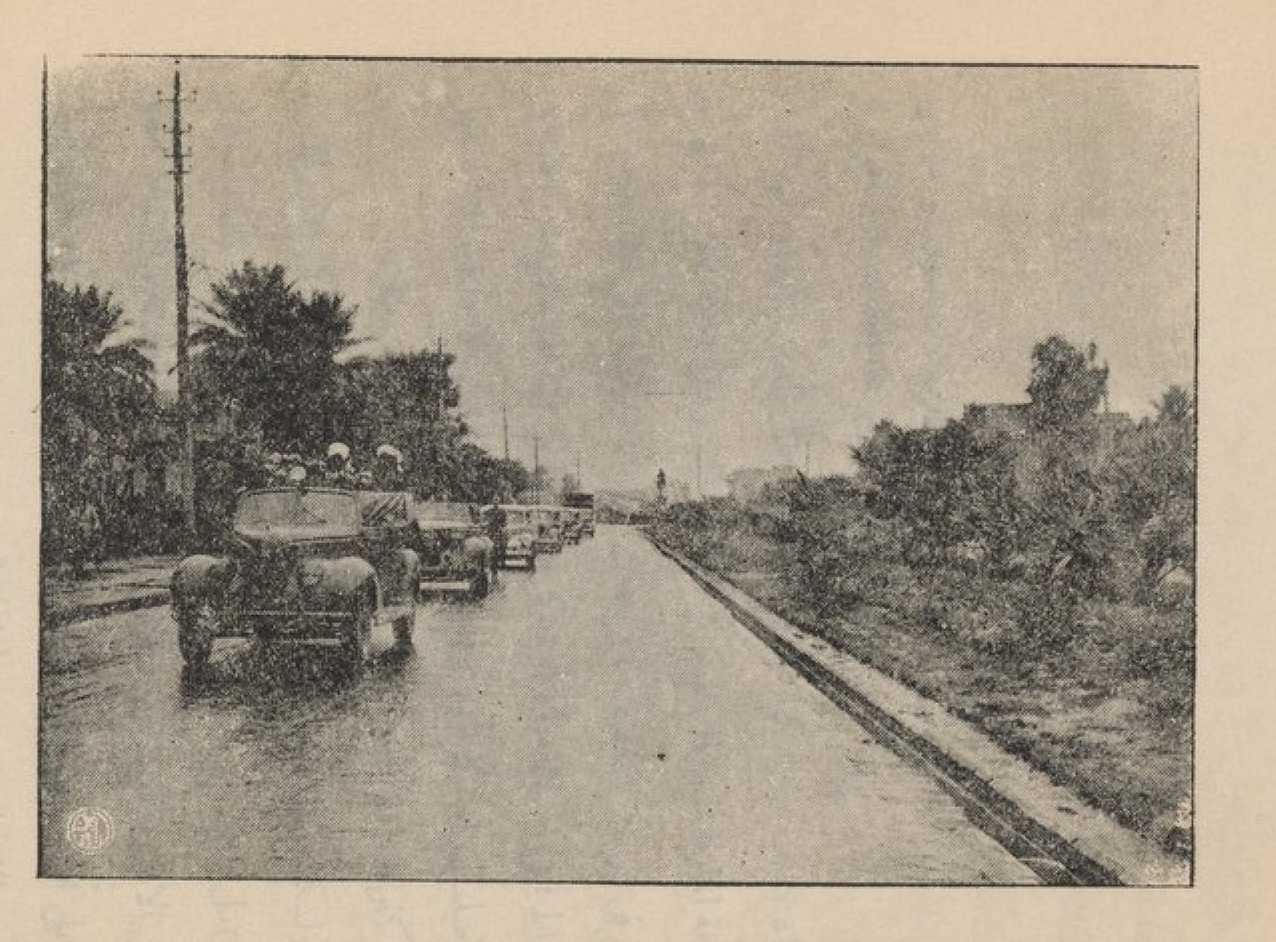
مصالحهم على مصالح شعوبهم ، وإنهم إن فعلوا ذلك فقد عصوا ربهم وخانوا واجبهم وجنوا على الحق والعدل جناية لا تغتفر .

***

وقد ضرب الدهر ضربته ودار الزمان دورته ، فاختفى شبح السلطان عبد الحميد الى الابد ولم يبق من ملكه وجبروته واستبداده سوى ذكريات سيئة يسطرها التاريخ في شيء غير قليل من المقت والاشمئزاز ، بل صارت دولة آل عثمان كلها خبراً من الاخبار .

ومر السيد جمال الدين الافغاني ببغداد مرة أخرى فخرج رجال الحكم وأرباب الحول والطول يستقبلونه فى المحطة استقبالا فخماً ويحيونه تحية الاعجاب والاكبار ، ثم احتفلوا به احتفالا رسمياً رائعاً فألقيت في حضرته الخطب وأنشدت القصائد معددة مآثره ، ممجدة مفاخره مقدرة كل التقدير حسن بلائه وصدق جهاده فى سبيل اقامة العدل ونشر الاصلاح ، ورفع منار الحرية .

وهكذا ينصر الحق ويهزم الباطل ويوفي المجاهدون الصابرون جزاء صبرهم وثواب جهادهم وان لم يطلبوا جزاء على صبر أو ثواباً على جهاد ، ولكن الله لا يضيع أجر من أحسن عملا ؟



الرفات يجتاز شارع الملك فيصل الاول المعظم وخلفه سيارات المشيعين

الكوكب المنير

« للاستاذ ذو النون ايوب رئيس
تحرير مجلة المجلة البغدادية الغراء »

اعتقد انه من التكرار الممل أن يقدم جمال الدين الافغاني الى القراء بالطريقة المألوفة المعروفة ، فيذكر أين ولد وكيف نشأ وماذا فعل ، وحتى أن يتعمق في دراسة شخصيته ، ويبحث عن التأثيرات المتبادلة بينه وبين الأوساط التي احتك بها ، أو تذكر قيمته كمفكر ممتاز وسياسي بارز ومناضل شعبي صلب . اننا لا نأتي بجديد اذاما فعلنا ذلك ، ولا نعتقد اننا سنصل الى اكثر ما وصل اليه كتاب معروفون في البلاد العربية .

ولكننا نرى نشاطاً ملموساً في الاهتمام بجمال الدين وأمثال جمال الدين ، حركة تدل على دبيب الحياة في الأوساط الثقافية والعلمية والسياسية في الشرق الادنى ، فنتساءل ما الذي حدث في العالم فأولد هذا النشاط الذي يدل على تجدد الحياة في هذه البلاد ؟. وعلام يدل الاهتمام بجمال الدين الأفغاني والشيخ محمد عبده وامثالها ؟

***

لقد اظهر جمال الدين الافغاني ، يوم ظهر ، كوكباً منيراً وسط سماء

مظلمة لم يخفف من ظلامها الكثيف شعاع من فجر مقبل ، وانا لنرى لمعانه باهراً ، حتى فى عصرنا هذا الذي انهزم الليل فيه أمام ضياء يوم مشرق ، ولم تكن تلك اعجوبة ولا معجزة ، فالشرق الادنى الذي كان يغط فى سبات التأخر هو جزء لا ينفصل من دنيا كانت آنذاك تتمخض عن انقلابات خطيرة وتطورات مدهشة واحداث جسام ، تطورات حملت فى رحمها جنين هذا المولود العالمي الرائع المتمثل في النظم الاجتماعية التي انقذت البشرية من عبودية اجيال ، فكان ظهور جمال الدين الأفغاني دليلا على ان العالم كل متصل يتأثر اوله بآخره ، اتصالا قد لا يكون واضحاً للمشاهد البسيط والانسان الساذج .

وانك لتعجب ان ترى هذا الرجل النبيل الطلعة المهيب المنظر يقف بين يدي ملوك طغاة بطاشين فيصارحهم في علة تأخر شعوبهم مصارحة يرون فيها خطراً على جبروتهم وسلطانهم ، فتشلهم الدهشة من جرأته فلا يجرأون على الفتك به ، ولكنهم يتخلصون منه بابعاده عن بلادهم ومقر سلطانهم بالحسنى .

وانك لتعجب اذ تراه يحيط علما بالارتباطات الدقيقة بين مختلف المؤسسات الاجتماعية ، فهو إن اراد اصلاحا دينيا أدرك ان ذلك يكون من لغو القول اذا لم يرتبط باصلاح دنيوى ، وهذا الأخير ما هو الا السياسة والاجتماع والاقتصاد ، فلا يشل ذلك من عزمه ، بل ينشط للخوض في نضال متدارك متصل ، واذا بك تراه يأخذ بخناق الظلم في النهاية ويصارعه ويمضي في هذا الصراع كالشعلة تنير أينما حلت ، وتفتح ابصار

الناس و بصائرهم أينما وجدت ، وتترك آثاراً رائعة مجيدة حيثما مرت .
وحري بهؤلاء المتقاعسين عن خدمة شعوبهم بدعوى نوم هذه الشعوب وتأخرها وجهلها ، أن يعتبروا بسيرة هذا الرجل المدهش الذي صارع جبروت الملوك ونفاق الكهان و رجال الدين ، فاحدث قبل قرن ما لا يستطيع احداثه عشرات من امثال هؤلاء المتقاعسين ، كل ذلك بحرارة إيمانه وصدق عزيمته .

وان كان في ظهور هذا الرجل دليل على الصلة بين اقطار العالم وافكار بنيه فان الاهتمام باحياء ذكراه في الوقت الحاضر ، دليل آخر على هذه الصلة . لقد هزت هذه الحرب العالم هزة عنيفة ، والبت قوى التقدم والحياة ضد قوى التأخر والفناء فهزمتها شر هزيمة ، فانتعشت الحياة في هذه الاقطار انتعاشاً يدل على قرب يقظتها ، وكان أول ما ابصرت عندما تفتحت أعين بنيها انوار تلك الكواكب المضيئة في سمائها ، فقامت تحييهم ، وتهتدي بأنوارهم ، وتسير على الدرب الذي يوصلها الى الهدف المنشود . وكما قطع هذا الكوكب بلاد الشرق جائباً واعظاً ، ومرشداً ناصحاً ، فها هو الآن يقطعه مرة أخرى عائداً الى موطنه وصدى آرائه وافكاره النيرة يتجاوب في آفاق هذه البلاد فتسمعها من كل مكان ، ولا فرق لمن يدين بالحياة البشرية كوحدة ابدية ، ان يرى عنصراً من عناصر هذه الحياة يسير على قدميه بالجبة والعمامة ، ام يراه رفات في نعش يحمل على الاعناق ما دامت آثاره وافعاله بارزة في كل مكان تعمل على بعث هذه الحياة وتطورها ؟

رفات العظيم

« الاستاذ حامد مصطفى المدرس بكلية الحقوق »

لله جمال الدين حياً وميتاً ! لله جمال الدين والدنيا ! عماد الرأي وجماع العقل ومناط العلم . نور قذفه الله في قلب ، وهدى ألهمه لساناً . لو تقدم به الزمان لكان أحد الهداة أو الابرار المقربين ، أو تأخر به الوجود لكان أحد أساطين العصر ومدار سياسة الكون . فلتة من فلتات الدهر كفلتة من فلتات الطبيعة . سر لم يكشف عن غموضه ونادرة لم تتصل بقديم ولا حديث .

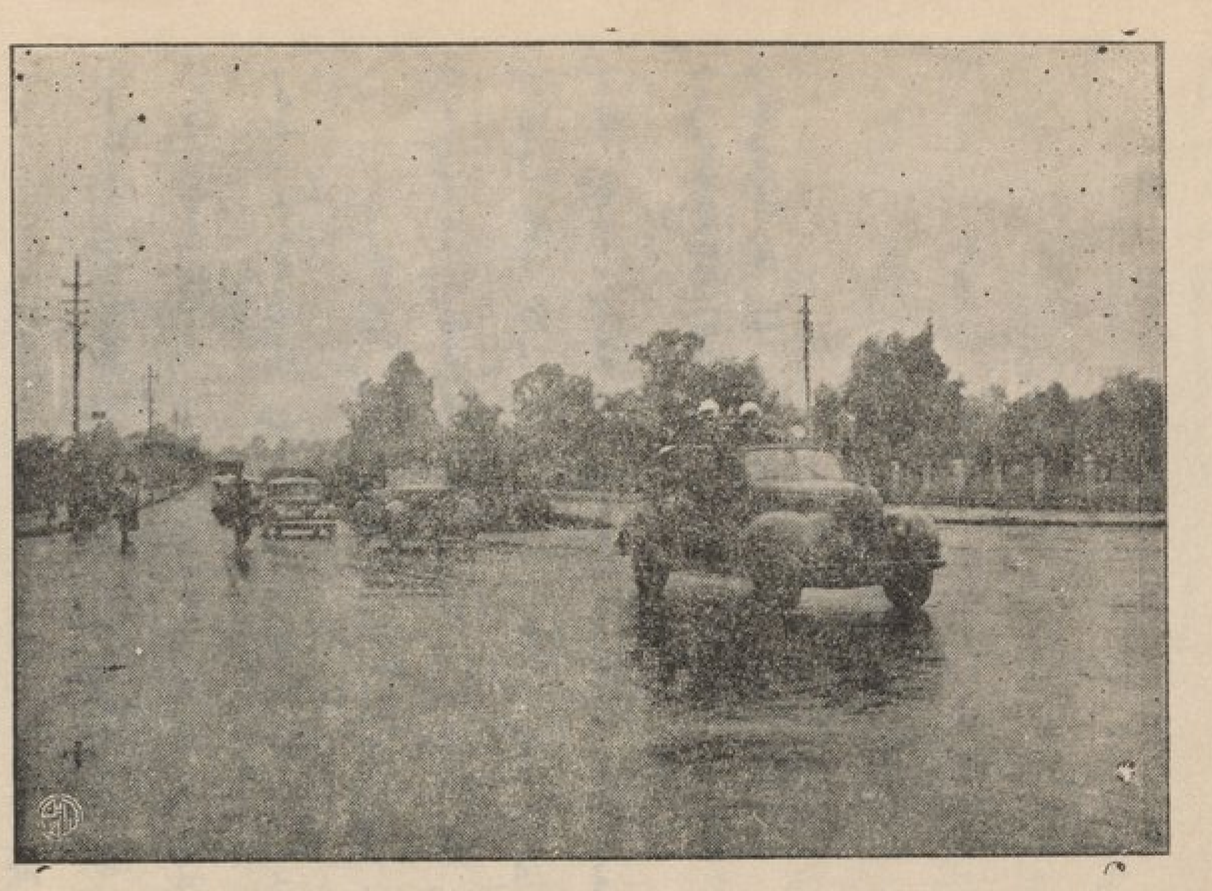
سبعة وار بعون عاماً مضت على رقدته في عاصمة الخلافة الاسلامية إذ ذاك ثم هو يبعث اليوم في جسمه لتقر عظامه في الوطن الذي نشأ منه والبلد الذي درج فيه ، يتنقل في عظامه من القسطنطينية الى مصر فبغداد والبصرة ثم فارس والافغان يسلك البر والبحر وتحمله الا كتاف ، فكأنه يعيد في الموت سيرته في الحياة . ما كان أضيق ظهر الارض على جمال الدين فاصر أن يضيق به جدث من باطنها ! وما أعظم المناسبة بين نقلة جثمانه اليوم من وطن الى وطن وما يجري بين هذين الوطنين من أحداث وعبر !. أبى جمال الدين إلا أن يكون موقظاً واعظاً بعد موته كما كان موقظاً واعظاً في حياته . ألا يبعث تنقل عظامه في هذه الديار التي جاهد فيها وناضل من أجلها وكافح ودافع ونافح بعض ما كان يثيره تنقلها مكسوة باللحم والدم!. لقد كان جمال الدين يرى ان لا جهاد له إلا في الله وفي هذه

الاوطان الممزقة المشتتة يقيم في بعض منها فيملؤها حزماً وعزماً ويقظة وروحاً ، ثم يدعوه آخر فيلبي داعي الله والضمير فيسبغ على الامة نعمة وفيضاً ورشاداً ، حتى تعم اليقظة ديار الاسلام جمعاء وتنبعث في جنباتها نهضة سياسية روحية لا ترى قياما للشرق إلا بالكفاح والجهاد .. لقد كان جمال الدين عظيماً فوق السلاطين والملوك، وقوياً فوق القواد والجنود ومؤمناً لم يدانه في ايمانه إلا الكرام المقربون . وآية ايمانه ديانة عصره له واستباق الملوك والعظماء على رضاه وقربه . وزهده للدنيا والزينة والجاه . وقد كانت عظمته هذه غذاء لهذا الوطن الكبير الذي يمر فى اجوافه اليوم . فهل من سميع نجاء جمال الدين ؟« أيا بقية الرجال ويا خلف الابطال ويا نسل الاقيال هل ولى بكم الزمان ؟هل مضى وقت التدارك ؟.. هل آن أو ان اليأس ؟ لا لا . معاذ الله ان ينقطع أمل الزمان منكم ... هذا آن الاتفاق ، هذا آن الاتفاق . ألا ان الزمان يواتيكم بالفرص وهي لكم غنائم ، فلا تفرطوا إن البكاء لا يحي الميت ،ان الاسف لا يرد الفائت ان الحزن لا يدفع المصيبة ، إن العمل مفتاح النجاح ... »

ان في سيرة جمال الدين وحياته لمثلا رائعاً للذين يريدون حياة الامة فناء في الله واخلاص للامة وتضحية باللذة والشهوة واستهانة بالموت وامل قوي وعزم يفل الحديد ، وشجاعة تضيق الجبابرة . وان في سيرة جمال الدين لتاريخ امة وجهاد اجيال وحياة ملوك ، لولا ان عصره لم يحتمله وجيله لم يفهمه ، ولولا أنه كان مفرداً علما لم يجد من الاعوان من يضاهيه سداد رأي وشدة حزم وصحة ايمان وقوة عزم وفناء في الله والوطن

وفي سيرة جمال الدين الى كل هذا صفات الزعيم الكامل : استعداد في العلم والفكر واحاطة بانواع المعارف حتى لكأنه امة وحده في كل علم من العلوم التي توافر عليها . وحجة في المنطق و بلاغة في القول حتى ليمتلك القلوب و يعقد الالسنة و يسخر الالباب . وحسن قدوة وصفاء نية وكفاية إمامة حتى لا تكاد تجد فى تاريخ عصره من يدعي فوق فضيلته او اكبر من قدره . وجرأة في الحق وصراحة في القول واحتراماً للكافة حتى ليحسبه جليسه مثله في الكفاءة والفضل. وزهد المنصب والمال واباء لمواطن الضعف وشبهات الملق حتى ليتعرض للعري أو الجوع أو تشتد به الحاجة فلا يجد فيه أحد مغمزاً للتفضل عليه .

لقد كان جمال الدين رجل سياسة ودين ، وكان يجد الدين الصحيح خير وسيلة جامعة تجعل من الشرق الاسلامي امة واحدة تقوى على درء الامم الطامعة فيه وتؤلف وحدة سياسية على النحو الذي قامت عليه الامة الاسلامية ايام مجدها وسالف عزها . وكان يعول في تحقيق غرضه هذا على الوحدة في الدين قبل كل شيء حتى صح عزمه على مواجهة العلماء الاعلام برأيه فوافقه عليه اعلام ايران وبايعوا للخلافة العثمانية . الا ان الرجل لم يمض طويلا فى مقصده العظيم حتى كثر حاسدوه والكائدون لهوحيل بينه و بين اجل غرض يسعى له العرب والمسلمون منذ اقدم عهودهم حتى اليوم . وناهيك برجل يوقظ في قلوب العلماء الجامدين في اظلم عهود العرب جذوة الايمان وسر الوحدة وسيبقى العرب والمسلمون يتلمسون السبيل الى هذا الهدف الاسمى حتى يبعث الله لهم مثل جمال الدين ديناً وعقيدة ومثلا اعلى . رحم الله جمال الدين وفيأه ظلال جنته ونفعنا بدروسه وعظاته كما نفع بها ايام حياته . والى الخلود ياجمال الدين. م



الرفات في آخر شارع الملك فيصل الاول المعظم متجهاً نحو المطار

صفحة رائعة ...

« للاستاذ عبد الجبار خلف العبيدي المحامي
مدير مجلة الرابطة البغدادية الغراء »

صفحة رائعة من تقليدنا التحرري تعاد فتنشر، وسجل خالد من سجل نضالنا الوطني وكفاحنا القومي يبعث ببهائه وجلاله ليوقظ في النفوس الهمم، ويذكي في القلوب الأمل فيحفزها للعمل، ويقوي عزمها المطالبة بحقوقها، وكسب قضيتها الوطنية وتحقيق آمالها القومية.

لقد أحب السيد جمال الدين الأفغاني الشرق حباً جماً، فوهب حياته للدفاع عنه، وضحى براحته وهنائه في سبيل سعادته وسعادة ابنائه، فطوف في اقطار الشرق جميعاً وأحبها جميعاً فهو كما يقول عنه الاستاذ الجواهري:

هويت لنصرة الحق السهادا
فلولا الموت لم تطق الرقادا

على ان السيد الأفغاني حتى في الموت لم يطق الرقاد فيعود حنينه الى

التطواف في اقطار الشرق وربوعه ليتلمس أثر الداء فيرشد الى الدواء ، كما كان في حياته كذلك شأنه بعدها .

لشد ما كان يحز فى نفس السيد جمال الدين الألم حين كان يطوف في ربوع الشرق وأقطاره فيرى بؤس أبنائه . ويتلمس شقاء شعوبه ، ولكم كان يتمنى لهذه الشعوب حياة الهدوء والاطمئنان ، على ان قوة إرادته ومضاء عزيمته وشدة اخلاصه وتفانيه في خدمة الشرق ونصرة الحق اذكت فى نفسه حب العمل ، فلم يستسلم للاماني المجردة ، ولم يتنم على الخيالات الجوفاء ، وانما نزل الى ميدان النضال بكل ما يملك من قوة ، وما فيه من حول وجلد ، وقد ريض نفسه على الكفاف ، وابتعد عن الدنيا وما فيها من مغريات فاستمع اليه حين يقول :

« لقد جمعت ما تفرق من الفكر ، ولممت شعث التصور ، ونظرت الى الشرق واهله فاستوقفتنى الافغان وهى اول ارض مس جسمي ترابها ، ثم الهند وفيها تثقف عقلي ، فايران بحكم الجوار والروابط ، فجزيرة العرب : من حجاز وهو مهبط الوحي ومن يمن وتبابعتها ونجد ، والعراق وبغداد وهارونها ومأمونها ، والشام ودهاة الامويين فيها ، والاندلس وحمرائها ، وهكذا كل صقع ودولة من دول الاسلام وما آل اليه أمرهم في الشرق والغرب ، فخصصت جهاز دماغي لتشخيص دائه ، وتحري دوائه ، فوجدت أقتل أدوائه داء انقسام أهله وتشتت آرائهم ، واختلافهم على الاتحاد واتحادهم على الاختلاف ، فعملت على توحيد كلمتهم وتنبيههم للخطر الغربي المحدق بهم » .

ولد السيد الافغاني في أسعدآباد من قرى كنر عام ١٢٥٤ م (١٨٣٩ م)

ويرجع نسبه الى الحسين بن علي (ع) وقد جمع الى شرف النسب عزة السيادة فقد كان أهل بيته سادة على عمالة من أعمال الأفغان .

وتعلم على غرار أهل زمانه في بلاده الفارسية والعربية، ودرس الرياضيات في الهند على الطريقة العصرية ، كما انه تعلم الفرنسية وهو كبير وقد استطاع أن يترجم منها . ولكن ما تعلمه أثناء سياحته الطويلة في الشرق خاصة والغرب عامة علمته تجارب عملية واسعة وأكسبته خبرة عظيمة أعانته في التوصل الى حل كثير من المشاكل بطريقة محكمة رشيدة .

***

وكان السيد الافغاني فى نضاله يستهدف اصلاح حال الامة ، ويبغي في كفاحه بلوغ المطامح الوطنية ، وتحقيق الاهداف القومية والعيش تحت راية الحرية والهناء والسلام . فكان يطالب ويلحف فى الطلب بدستور ديمقراطي تصان حرمته ، ومجلس نواب تنتخبه الامة انتخابا ديمقراطياً حراً من ذوي الكفاآت من أبناء الشعب ، ليعبر عن ارادته ورغباته تعبيراً صادقاً ، ويعرض حاجياته ، ويدافع عن حقوقه بامانة واخلاص فهو قد أدرك القوة الكامنة في الامة وأيقن ان كل محاولة للاصلاح من غير اشراك الامة في الحكم تكون نتيجتها الحتمية الفشل ، ونصيبها الخيبة لذلك نراه يقول : « ان القوة النيابية لاى امة كانت لايمكن أن تحوز المعنى الحقيقي الا اذا كانت من نفس الامة ، وان أي مجلس نيابي يأمر بتشكيله ملك أو أمير أو قوة اجنبية محركة لهما ، فاعلموا ان حياة تلك القوة ، النيابية الموهومة موقوفة على ارادة من أحدثها .. »

« ... فمقدمات مجلس نيابي قوته المحدثة له خارجة عن محيط الامة ، والمحدث له قوة خارجة عن الامة ومجلسها ، يعارضها منافع متضادة ، وهدفان مختلفان ، فمثل هذا المجلس لا قيمة له ، وكما انه لا يعيش طويلا كذلك لا يغني عن الامة فتيلا . »

وكان يؤمن ايماناً راسخاً بأن التفاوت بين الشعوب والأمم ليس وليد قوانين أزلية لا يمكن تبديلها ، وليس نتيجة نواميس كونية أبدية ليس من المستطاع تغييرها كما يشيع دعاة الاستعمار وأذنابه من أصحاب رؤوس الأموال. وانما هذا التفاوت بين الأمم والشعوب ما هو الا عارض وقتي يزول بزوال مسبباته ، وما هو الا حدث خاص بمرحلة معينة من مراحل البشرية وهي مرحلة استغلال الأنسان لأخيه الأنسان ينتهي بانتهائها ، ويزول بزوالها ، وان النتيجة الحتمية للتطور الأنساني والتقدم البشري لا بد أن تنتهي بمحو التفاوت بين الشعوب والقوميات ، واقامة المساواة والتآخي بينها وقد عبر السيد عن هذا المعنى أحسن تعبير : « ولما كان لحياة الامم والدول أدوار وآجال ، ولحدوثها وتكونها ، وتعاليها ثم توقفها ، وانحطاطها أسباب وعوامل ، هكذا وجب أن يكون الأستعمار خاضعاً لتلك النواميس الكونية ، بمعنى انه يصل الى حد محدود وأجل معلوم . وانقضاء أجل الأستعمار انما يتم بزوال الأسباب التى مكنت أهله التسلط ، وأكرهت الشعوب على الخضوع لهم . »

كان السيد يطالب باطلاق الحريات للكلام والأجتماع والنشر والعمل ، كان يريد نشر العلم وبث الثقافة بين أفراد الشعب ، كان يريد ترقية شؤون

الأقطار الشرقية الداخلية بالأدارات الحرة المنظمة ، ثم كان يرمي الى جامعة تضم تحت رايتها الحكومات الأسلامية .

***

اقام سيد في مصر ثمان سنوات من مارس سنة ١٨٧١ الى آب ١٨٧٩. كانت كما يقول الأستاذ احمد أمين : «من خير السنين بركة على مصر وعلى العالم الشرقي لا بجمال مظهرها وحسن رونقها ، وسعادة أهلها ولكن لأنه فيها كان يدفن فى الارض بذوراً تتهيأ في الخفاء للنماء ، وتستعد للظهور ثم الازهار فما أتى من تعشق للحرية وجهاد في سبيلها فهذا أصلها ، وأن وجدت بجانبها عوامل أخرى ساعدت عليها وزادت في نموها » .

وأبرز عمل قام به في مصر هو التعليم فكان يعلم في بيته ، و يعلم في المقهى و يعلم في بيوت الاغنياء عند زيارتهم . فكل همه أن يعلم وأن ينشر العلم حينما وجد وأينما كان وحيثما حل ، وقد جمع حوله طائفة لا بأس بها ممن يتشوقون الى العلم ، و يتعطشون لايراد منهله من منبعه الامين .

وقد قام السيد عند اقامته في مصر بعمل لا يقل روعة عن عمله في التعليم فقد جذب الادب من الابراج العاجية والقى به في أحضان الشعب. وعكس اتجاهاته الخيالية ، ومراميه التجريدية ، وغاياته التقليدية ، ووجهه وجهة واقعية مستمدة من حاجة الامة في مطالبتها بحقوقها ، ورفع الظلم عنها. ثم انه اتخذ الادب أداة للتعبير عن ارادة الجماهير وما تحتاج اليه من اصلاح ، وما تبغي من مطامح في ترفيه حالها ، ودفع البؤس عنها ، ورفع الشقاء عن كاهلها. فأصبح الادب بهذا معبراً حقاً عن مطامح الشعب

وغاياته ، و به صار أدباً حقيقياً بعد ما كان أداة للتوسل والاستعطاف أو تكراراً فى التقليد والمحاكاة .

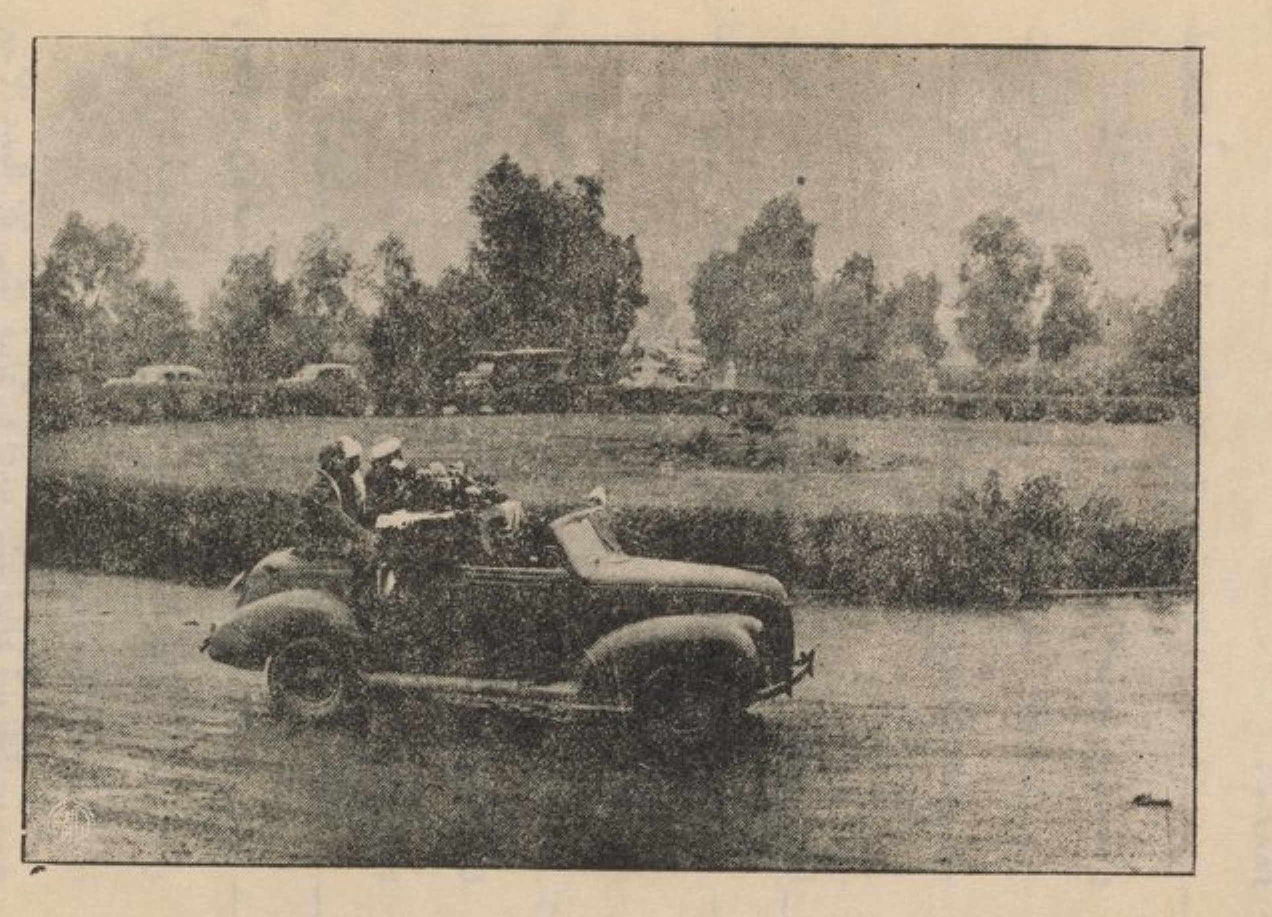
سارت تعاليم السيد سريان العافية في الجسم المريض ، ولاقت اقبالا منقطع النظير ، وقد أثرت في نفوس بعض الشباب المتحمس أثراً عميقاً .
وراحوا يحققون تلك التعاليم ، فهذا أديب اسحق تلميذ السيد وصديقه الحميم أنشأ جريدة مصر وراح يكتب بها الكتابات الحماسية ، و يدبج المقالات النارية في انصاف الامة ، والترفيه عن حالة الشعب ، وطلب الحرية ، ورفع الظلم والاستبداد ، ومن ورائه استاذه يرشده ويهديه ، و ينشر تحت اسم مستعار « مظهر بن وضاح » .

وكان يشجع تلاميذه وأصدقاءه على الكتابة والنشر فأنشأ أديب اسحق جريدة ثانية في الاسكندرية سماها « التجارة » ، كما وأنه وجه « الوقائع المصرية » توجيهاً واقعياً .

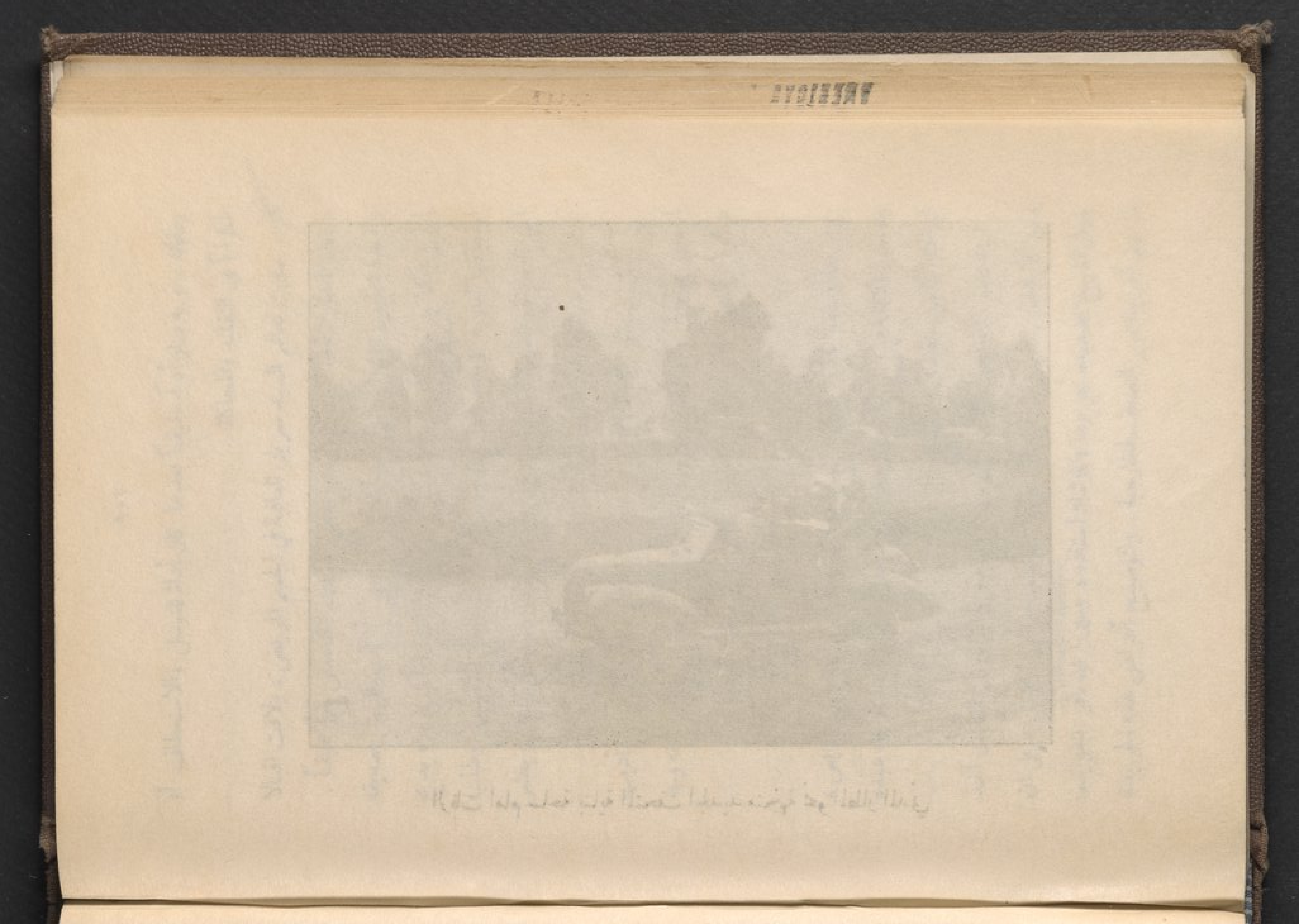
***

وغادر مصر مكرهاً الى الهند ثم الى انكلترا ومنها سافر الى باريس ، وقد قرر الاقامة فيها . فكتب الى صديقه وساعده الايمن الشيخ محمد عبده ليوافيه بها من منفاه فى بيروت .

اجتمع المصلحان الكبيران في باريس ، والشوق الى النضال آخذ منهما كل مأخذ . فقر رأيهما على انشاء جريدة باسم « العروة الوثقى » على ان يتولى الشيخ محمد عبده تحريرها ، بارشاد استاذه ، وميرزا محمد باقر لتعريب ما يهم تعريبه من الصحف الخارجية . ولتوضيح أغراض هذه الجريدة



الرفات امام ساحة بناية المتحف الجديد متجهة نحو المطار المدني



وأهدافها نذكر ما لخصته في العدد الاول من اعدادها الصادر في ١٣ مارس سنة ١٨٨٤ م :

١ — بيان الواجبات على الشرقيين التي كان التفريط فيها موجباً للسقوط والضعف ، وتوضيح الطرق التي يجب سلوكها لتدارك ما فات.

ويستتبع ذلك بيان اصول الاسباب ومناشيء العلل التي أفسدت حالهم ، وعمت عليهم طريقهم . وازاحة الغطاء عن الاوهام التي حلت بهم .

٢ — اشراب النفوس عقيدة الامل في النجاح ، وازالة ما حل بها من يأس .

٣ — دعوتهم الى التمسك بالاصول التي كان عليها آباؤهم واسلافهم ، وهي ما تمسكت به الدول الاجنبية العزيزة الجانب .

٤ — الدفاع عما يرمى به الشرقيون عموماً والمسلمون خصوصاً من التهم ، وابطال زعم الزاعمين ان المسلمين لا يتقدمون في المدنية ما داموا متمسكين باصول دينهم .

٥ — اخبار الشرقيين بما يهمهم من حوادث السياسة العامة والخاصة .

٦ — تقوية الصلات بين الامم الاسلامية . وتمكين الالفة بين أفرادها ، وتأمين المنافع المشتركة بينها ، ومناصرة السياسة الخارجية التي لا تميل الى الحيف والاجحاف بحقوق الشرقيين .

صدر من الجريدة ثمانية عشر عدداً في ثمانية أشهر كان العدد الاخير منها في ١٨ تشرين الاول سنة ١٨٨٤ .

وقد أدت جريدة « العروة الوثقى » خدمات جلى الى الشرق ، فكانت

تدعو الى توحيد الجهود ، والنضال للتحرر من نير الاستعمار . ولكن عمر الجريدة لم يطل مع الاسف فاحتجبت عن الصدور ، وطويت صفحتها بعد نضال قاس ، وبعد أن غرست فى قلوب أبناء الشرق اليقظة والتحفز للتحرر والانعتاق.

أقام السيد في باريس ثلاثة أعوام ، كانت طافحة بالحوادث ، مفعمة بالتقلبات السياسية ، مغرقة في الارتجاجات الفكرية . وهو يكافح فى هذه الاعاصير العاتية ، والعواصف الهوج .

وتعرف السيد عند اقامته في باريس بالفيلسوف رينان . وقد اشتهر هذا الفيلسوف بتحامله على الاسلام ، والانتقاص من شأن العرب بوجه خاص ، وجرت بين حكيم الشرق ومصاحبه الامين ، و بين فيلسوف الغرب المتحامل على الشرق مناورات ومناوشات ، فالفيلسوف يريد انكار ما للعرب من قيمة علمية ، ونتاج فكري . ويريد أن ينتقص من تقدير الاسلام للعلم والفلسفة وتقبل الآراء الحرة . والسيد الحكيم والمصلح العظيم يرد على الفيلسوف ادعاآته بما اشتهر به من حصافة العقل ، وقوة الحجة ، وسحر البيان ، وقد شاركه في الرد على الفيلسوف رينان بعض الشباب المسلم المتحمس المقيم في باريس آنذاك .

لقد عيرنا الفيلسوف رينان فيما عيرنا به من اننا عدمنا ولو ثائراً واحداً ، ولعمر الحق أما كان يكفي رينان أن يرى أمثال السيد والشيخ محمد عبده وغيرهما ممن التقى معهم ، أو سمع بهم ، أو قرأ عنهم ، ليرد ادعاءه في نحره ؟..

***

وزار السيد جمال الدين من جملة ما زاره من البلاد روسيا . وحل في سان بطرسبرج عام ١٨٨٦ و بقى فيها الى عام ١٨٨٩ فتكون مدة اقامته ثلاث سنين . أما سبب زيارته لروسيا وان كان غير واضح ، الا انه يحمل على الظن انه أراد أن يطلع على حال المسلمين في روسيا حينذاك فقد كان يعد فيها نحو ثلاثين مليوناً . وكانت حالتهم سيئة يعاملون كما يعامل غيرهم من الشعوب والقوميات المتعددة التي تضمها روسيا ، بعنف وشدة ، فسميت روسيا لظلمها واستبدادها بشعوبها أثناء الحكم القيصري (سجن الشعوب) .

قابل السيد الافغاني ، قيصر روسيا وجرى بينهما حديث ذو شجون ولا بأس أن نورد ما جرى بين السيد جمال الدين والقيصر كما جاء في كتاب المخزومي ، « خاطرات جمال الدين الافغاني » .

سأل القيصر جمال الدين عن سبب اختلافه مع الشاه ، فذكر له رأيه في الحكومة الشورية ، وضرورة اتباعها ، وأن الشاه ينفر من ذلك ولا يحب أن يقر به .

قال القيصر : « اني ارى الحق في جانب الشاه اذ كيف يرضى ملك من الملوك أن يحكم به فلاحو مملكته ؟ » .

فاجاب جمال الدين بجرأة وفصاحة : « اعتقد يا حضرة القيصر ان عرش الملك ، اذا كانت الملايين من الرعية اصدقاء له ، خير من أن تكون أعداء يترقبون الفرص ، و يكمنون في الصدور سموم الحقد ونيران الانتقام » .

فعلت عند ذلك وجه القيصر علامة غضب ، فقطب حاجبيه ولم يطل الحديث بعد ذلك مع جمال الدين و ودعه بغير الشكل الذي استقبل به ،

اذ كان وداعاً بارداً ، ثم اوعز القيصر الى اكبر رجال بلاطه أن يسرعوا متلطفين اخراجه من روسيا .

فلم يكن بد للسيد ازاء هذا الأمر الواقع الا ترك روسيا ، فتركها وفي نيته زيارة معرض باريس الذي اقيم سنة ١٨٨٩ ، فطوف أثناء سفره بانحاء اوربا ونزل في ميونيخ وبها التقى مع شاه الفرس ناصر الدين شاه فدعاه لزيارة فارس .

***

وحل السيد في طهران وقد اختمرت في رؤوس بعض العلماء والمثقفين فكرة الاصلاح،وقد تأثر الى حد بعيد باراء السيد وأفكاره وأيقنوا الا إصلاح بدون تغيير فى الحكم ، وتبديل في النظام وهذا بطبيعة الحال كان تبلور العمل الثورى الذي كان يريده السيد ويدعو اليه ، فالتف حوله الناس من محبي الأصلاح وطلاب العدل .

كلف الشاه السيد جمال الدين أن يسن ما يراه موافقاً لروح العصر من القوانين . فشرع السيد يعمل بهمته المعهودة وصبره المألوف . فسن القانون الاساسي وجعل اساس الحكومة قائماً على الحكم الملكي الشوري. فارتاحت النفوس واطمأنت الخواطر ، وانتعشت الآمال ، لما عسى أن يوفر القانون الاساسي الذي سنه السيد جمال الدين على الامة راحتها واطمئنانها، وينعش الحياة باطلاق الحريات من عقالها . ولكن مع الاسف خابت الآمال حينما اطلع الشاه على قواعد الدستور الكلية ورأى فيها تقييد حكمه ، وان الامة ستكون أوسع سلطة بمجلسها النيابي . فعند ذاك استدعى اليه السيد وسأله :

« أيصح أن أكون يا حضرة السيد وأنا ملك ملوك الفرس كاحد أفراد الفلاحين ؟ » .

فأجابه السيد بقوله : « اعلم يا حضرة الشاه ان تاجك وعظمة سلطانك وقوائم عرشك سيكون بالحكم الدستوري أعظم وانفذ واثبت مما هم الآن .

« والفلاح والعامل ، والصانع في المملكة يا حضرة الشاه انفع من عظمتك ، ومن أمرائك واسمح لاخلاصي أن اوديه ، صريحاً قبل فوات وقته .

« لا شك يا عظمة الشاه انك رأيت وقرأت ، عن امة استطاعت أن تعيش بدون أن يكون على رأسها ملك ، ولكن هل رأيت ملكا عاش بدون امة ورعية ؟ » .

لا شك ان هذه الكلام قد أزعج الشاه وأغاظه لما فيه من تهديد لمصالحه ومصالح طبقته واتباعه من ذوي السلطان . فخاف العاقبة على سلطانه وعرشه ، وخاصة ما رآه من سريان نزعة الاستقلال بين الشعب وتلهفه في طلب الاصلاح وتحسين الاحوال ، فما كان من الشاه الا أن انفذ من قبضوا على السيد وهو مريض وارسلوه خارج الحدود . الى العراق .

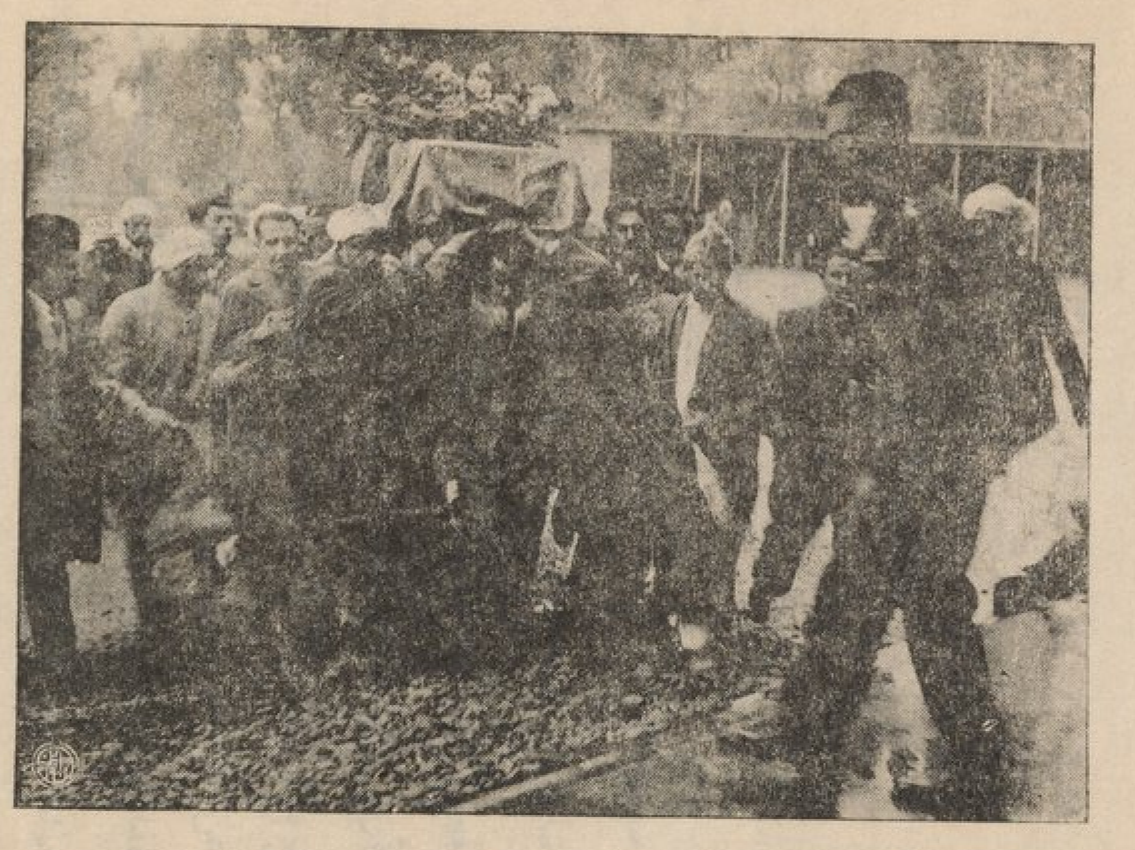
***

إن ذكرى السيد جمال الدين لا تفارق اذهان الاحرار من أبناء الشرق ، وان لآرائه وأفكاره صدى بعيداً وأثراً عميقاً في نفوسهم وقلوبهم .

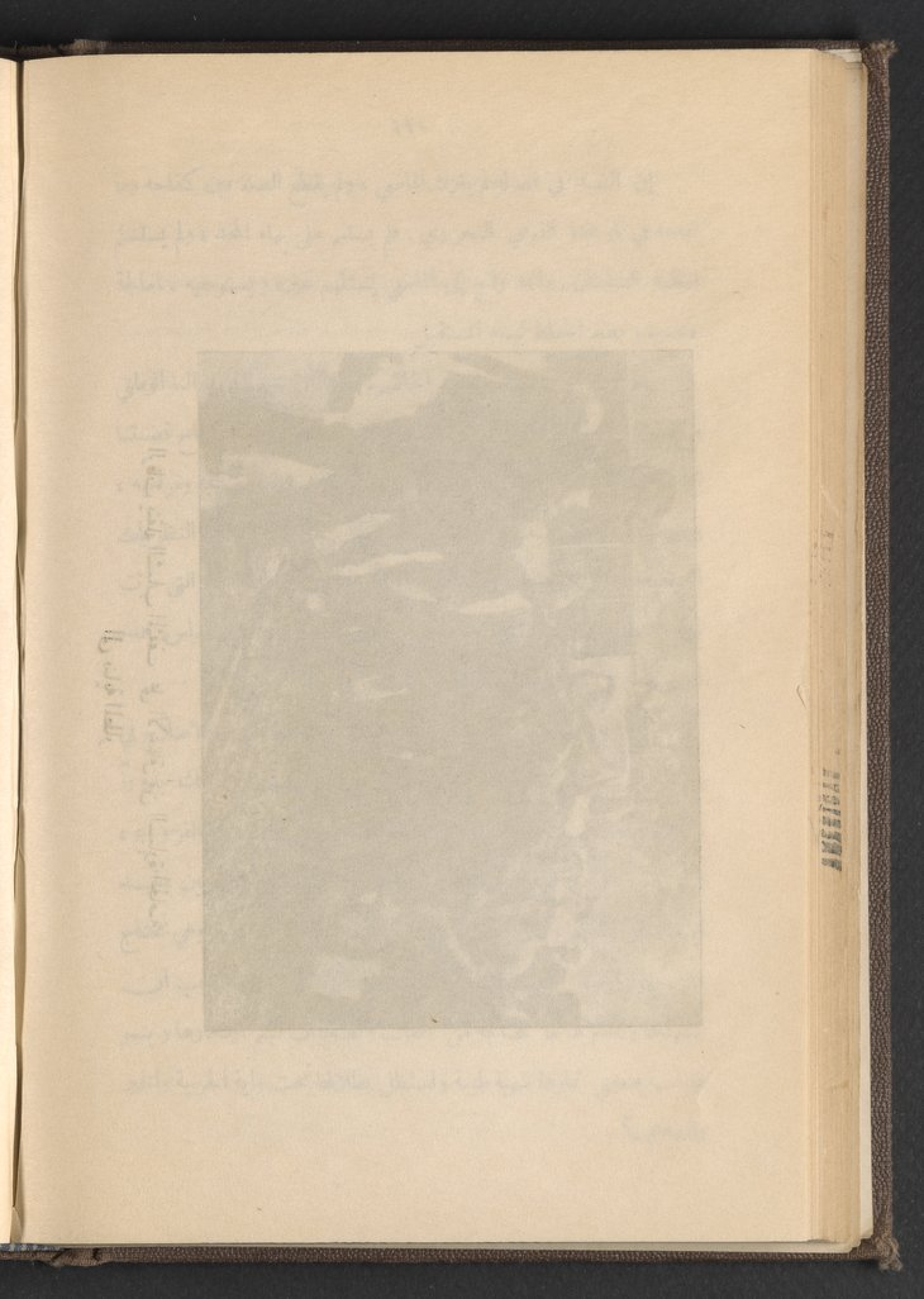
إن السيد في نضاله لم يترك الماضي ، ولم يقطع الصلة بين كفاحه وما تقدمه في تاريخنا القومي التحرري . فلم يستنم على بهاء المجد ، ولم يستسلم لعظمة السلطان . وانما راح إلى الماضي يستلهم عبره و يستوحيه ، لمعالجة حاضره و يضع الخطط لبناء المستقبل .

ونحن في مرحلتنا الوطنية الحاضرة نريد أن يرتكز نضالنا الوطني وكفاحنا القومي على ما في ماضينا من كفاح ونضال . وان نجاح قضيتنا القومية يتطلب استلهام التاريخ واستيعاب عبره وتفهم نتائجه ومراميه ، ودمجه بدراسة القضية القومية ضمن المشاكل العالمية على ضوء النظريات الصحيحة ، مع تفقه القضية القومية والالمام بها في جميع المراحل التى مرت بها والتطورات التي شملتها وتحليل المجتمع الحاضر على أساس هذه التطورات في سيره وتقدمه .

إن بذور التحرر القومي التى بذرها السيد و رجال عهد الاصلاح في القرن الماضي من مفكرين اصلاحيين ، كانت ولا شك بذوراً طيبة ، وانها قد تحولت اليوم الى دوحة متينة الجذور متشابكة الفروع ، وان هذه الدوحة التي غرسها من سبقنا من مفكرين ومناضلين ، قد اينعت الى حد ما وحان قطاف ثمارها في بعض اقطار الشرق ، وهي تحتاج الى جهود اوسع وتضحيات اكثر في الاقطار الأخرى ، فيجب ان نتعهدها ونقدم لها ما تحتاجه من اتعاب وتضحيات ليتم ازدهارها و ينمو غراسها فنجني ثمارها شهية طيبة ونستظل بظلالها تحت راية الحرية والخير والسلام ؟



الرفات ينقله الشباب المثقف على الاعناق من السيارة الخاصة
الى بناية المطار



القروة الخالقة

« للاستاذ صدر الدين شرف الدين
صاحب جريدة الساعة الغراء »

سبحان الله !

كأننا و رفات السيد الافغاني الخالد على موعد ان يمر بنا في مثل هذه الفترة الحيرة التي نجتازها بمثل احتياطنا لها وتقديرنا لظروفها .

وكأن الحكمة التى بعثت ضيفنا العظيم حياً ليرفع صوته برسالة الاصلاح بعثت رفاته ميتاً من مرقده المطمئن لترفع صوته مرة ثانية فى فترة لا تقل عن الفترة التي جمجمت به بين اقطار الأرض في قاراتها المختلفة ، فكان لهذا الصوت صداه ولذلك الصائت الكريم تقلبه في ايران والافغان ثم في مصر و باريس والقسطنطينية وهو ما هو صلابة عود وشدة شكيمة وسمو مطمح واشراق لسان وعبالة حجة .

والذي يعنينا من المصلح الاسلامي الانسان الذى نادى الى حريات العقل والعقيدة والرأي ، ودعى الى بعث جديد ينشيء الدنيا انشاء

مستقلا حراً لا يعبد فيه انسان انساناً مثله ولا يستعلي فيه قوي على ضعيف ولاغنى على فقير ولا متأنق تحبوه الحياة على مهلهل حرمته من ذات يد تبنيه .

دعى الى الدنيا الاسلامية التي يسعى فيها الناس الى بعضهم اخواننا مفكرين يفقهون من الحياة اكثر مما كانوا يفقهون .

***

هذه ذكراه الكريمة .

وكنا نمر بها كلما اعوزنا الباعث واعيانا المثل من رجالنا المحدثين فكنا نرتفع على جناحين منه يخفقان بنا في كل سماء من الحق وفي كل جو من الخير فنتمنى ان نظل على ذلك الجناح يطوف بانفسنا في مرائيه .

والآن تمر بنا الذكرى نفسها فاية اجنحة ترفعنا وفي اي الآفاق تطوف بنا؟ .

انها ذكراه مجتمعة فى تابوته السعيد ومن حق هذه الذكرى الفذة - وقد جاءتنا بنفسها - ان تخصف علينا منه اشتاتا من عظائمه والواناً من مآتيه ومن حقنا في استقبال هذه الذكرى الموحية أن تختلف على انفسنا منه مشاعر هادية فيما نستقبله من حياتنا الغامضة .

لقد كان صاحب هذه الذكرى - رضي الله عنه - ناهضاً ونحن في هذه الفترة احوج ما نكون الى النهضة واحوج ما تكون نهضتنا الى رجل يمر بها مرور القدوة المتبعة والمثال المحتذى فيلقي فيها بياناً من لسانه وجرأة من جنانه ووضحاً من هداه وقوة من ايمانه .

نحن في نهضتنا محتاجون الى هذا الرجل الذي لا تماسك نهضتنا

بدونه لأن نهضته لا تقوم بغير ناهض يلتف بشمائل النهوض وسماته العالية في بيان وجرأة وهدي وايمان .

***

فلتكن هذه الذكرى قدوتنا الخالقة الحالقة ومثالنا المتبع في العبور الى مدينة النهضة على جسرها الشائك اشداء لا نلام في حق ، اقوياء لا نهفو لباطل ماضين لا نتبهنس لدى عقبة .

وأحر برجالنا المؤملين ألا تمر بهم عبر هذا الرجل الخوالد عبور زمان يكتفي بالمجاملات في مراحل الاستقبال والتوديع لاننا في حاجة الى زمان تتربع فيه افكار وتسعى فيه اعمال وتنتفع من عابريه افئدة .

ولروح فقيد الشرق العظيم ثواب جهاده العظيم م؟

طبيب و بستاني

« للاستاذ خالد الدرة المحامي »

(١)

قبل اكثر من نصف قرن دبت فوق اديم العراق كتلة من الاعصاب الحساسة قادمة من الافغان فالهند في طريقها الى ارجاء العالم الاسلامي .

وكانت هذه الاعصاب بدرجة من حرارة الايمان وقوة العزيمة بحيث تلهب اعصاب الغير وتمنحه طاقة ما كان يحسها في أعصابه أو يعهدها في دماغه . ومن أجل ذلك حارب الطغاة هذه (الشحنة الكهربائية) بالرغم من أن هذا الجهاز العصبي لا يملكه غير رجل اسمر شجاع حديد المزاج . لا يملك من حطام الدنيا سوى دماغ انعشته هذه الاعصاب المرهفة ، وسوى بدلة اسلامية واحدة تستر جسده النحيف ولا يملك من المال البراق غير بريق عينيه .

وبالرغم من أن الطغاة والحساد والمتزمتين قد بذلوا كل جهودهم

للحيولة دون تسرب قواه الروحية الى اذهان الشرقيين المستضعفين فان هذه القوى الجبارة قد تسربت فعلا الى كثير منهم وفعلت فعلها في انهاض شعوبهم ، ولا تزال هذه القوى تتسرب الى الاعصاب والاذهان حتى يبلغ الشرقيون الكمال من النهوض والسؤدد كما كان يريده لهم هذا المتصوف العظيم . ويكفيه فخراً انه انجب امثال الامام محمد عبده وعبد الله نديم وقاسم امين ومصطفى كامل واحمد فريد وسعد زغلول وعبد المحسن الكاظمي وابراهيم الهلباوي وغيرهم من عظماء الرجال في الافغان والهند وتركيا وايران .

واليوم نسمع بان هذه الكتلة العصبية الطاهرة ستمر عبر اديم العراق وهي لا تمشي على الارض كعادتها ولكنها محملة على الاكتاف مشيعة بالقلوب مودعة بالدموع .

ليس بمستطاع احد اليوم أن يحول دون مرور هذه الشعلة المقدسة فقد اندثر عهد الطغاة بجهوده الرائعة ، ولا بمقدور الحساد ان يناوئوه على ما اصابه من حظوة فقد صار فى ذمة التاريخ ، ولا بمكنة المتزمتين ان يصدوا تيار افكاره الحرة الجارفة فقد اضعفت روحه من قواهم وشلت من ارادتهم ولم تعد لهم قيمة فى الوجود وهذا نفس ما قصد اليه السيد الافغاني الجليل يوم ناوأهم .

نعم ليس بمقدور كل هؤلاء واشباههم ان يحولوا دون مرور هذه (الشعلة) أو ان يقللوا من سطوعها فقد تسرب نورها الى اذهان رجال الشرق ، وحرارتها الى اعصابهم وكرامتها الى دمائهم . وسيزداد هذا النور

سطوعاً والحرارة لهباً والكرامة فوراناً ما ازدادت حرمة هذا الافغاني في الشرق حتى نبلغ شأو الغرب .

هذا هو السيد جمال الدين الافغاني الذي خصص جهاز دماغه لتشخيص داء الشرقيين وتحري دوائهم وهو القائل بعد أن فحص مريضه : (وجدت اقتل ادواء الشرق انقسام اهله وتشتت آرائهم واختلافهم على الاتحاد واتحادهم على الاختلاف) .

هذا بعض ما وجده طبيب الشرق العظيم في جسد مريضه ، فسعى الى استحضار الادوية وكانت (الصيدلية) في ركن من اركان قلبه الكريم ينيرها وميض من دماغه العظيم ، وعمالها مرهفات من اعصابه الدقيقة الحساسة .

فانبرى طيلة حياته دائباً على توحيد كلمة الشرقيين متنقلا من اصلاح عضو الى آخر ففي ايران يثيرهم على الطغاة وفي الهند يوحدهم على الكلمة وفي العراق يعزز الآداب ولكنه لا ينسى ايران بل يعمد الى جلب نسخة من كتاب (علي بابا) من تأليف جيمس موريو ويوعز الى احد اتباعه بترجمته الى اللغة الفارسية ثم يسافر الى البصرة لتهريب النسخ الممنوعة الى قلب ايران ليتداوله الناشئة ويعرفوا ما هم عليه من جهل ويدركوا سر سخرية الغرب منهم وهكذا يمهد لاصلاحهم . وفي سوريا يخطب من اجل مصر وفي القاهرة يؤنب الخليفة وفي الاستانة يسعى من اجل البيئة الاسلامية كلها ويراسل من يرى فيه القدرة على الاصلاح .

دأب هذا العبقري الانساني يخطب في مساجد المسلمين ومجامعهم



صورتان خالدتان للمرحوم الأفغاني تمثله احداهما بملابسه العربية

لينبهم الى الخطر المحدق بهم و يكتب فى صحفهم ومجلاتهم و يشغل مطابعهم ليهيب بهم الى الاتحاد و يعالج الصحافة في باريس على (العروة الوثقى) فحظى بان يكون له اثر بالغ في النزعات الشورى التي حدثت في عشرات السنين الاخيرة في الحكومات الاسلامية ونال اطمئناناً بان كثيراً من الممالك الاسلامية ستدأب على طلب الحرية .

وحصل على طلاب نجباء عرف انهم سيسعون الى ترقية شؤون اقطارهم الداخلية من شتى النواحي الاقتصادية والاجتماعية والادبية والسياسية .

وخزن ايماناً بأن الحكومات الاسلامية ستنتظم يوماً ما فى جامعة واحدة لتتمكن بهذا الاتحاد من منع التدخل الاجنبي في شؤونهم وا كرم مما ناله في دنياه .

هذا هو سياسي الشرق الا كبر يوم لم يكن في الشرق سياسي وهذا هو فيلسوفه الاشهر بعد ان يئس من نبوغ فيلسوف فوق ربوعه وهذا هو ثوريه الاول يوم كان بنوه كجثث بالية ترضخ للذل .

هذا هو جثمان موقظ الشرق من سباته سيمر ثانية عبر العراق بعد ان يطوف من جديد فى ارجاء الشرق حتى يستقر فى مهبطه الاصلي بلاده العزيزة الافغان فلا عجب ان تسترد الحكومة الافغانية جثمانه الطاهر فهو مفخرة شعبها وعنوان حيوتهم ومدون تاريخهم المجيد فى لغات العالم وابنهم البار ولامر مثالي سام سيتركز هذا الطود في قلب آسيا وسيكون كالنار يضيء لكافة شعوب الشرق كمحج بينهم .

ولا ادري لم لا يجرب احد رجال الاصلاح في جيلنا هذا قتل اهوائه ورغباته الشخصية وتعصبه المرذول لينطلق نقياً كالروح قوياً كالاعصار ثابتاً كالطود الاشم . فلا اشك بان ستتم على يديه ، بما يبذله من قوى روحية وسعي متواصل بما لا يقوى على القيام بمثله الوف ومئات المدارس وعشرات الجامعات ؟..

ان مثل هذا الرجل لو وجد جديربان يقود الامة الى ما فيه الخير لها والصلاح لبنيها والعزة لالوف افرادها ، وهكذا كان السيد الافغاني جمال الدين ان نبغ مثل هذا الانسان وحيداً بجهله ابناء قومه ، أو تفرق عنه الخلق فراراً من دعوته أو حسداً لسمو ما يناشدهم اياه ، فله من قوة روحه اساتيذ يحبذون العلم بعد الجهل ، ومن صلابة أيمانه مدربون يوجهون الشعب الى القوة بعد الضعف ، ومن مضاء عزيمته حراس يسوقون هذه الجموع الى التكتل بعد التفرق ، أو من نبل مقصده مرشدون للهدى ونبذ الضلال ، ومن زهده في الحياة دعاة يروجون بين افراد الشعب بان هذا الزعيم انما يعمل من اجلهم في سبيل الله والوطن والكرامة .

يزعم الرأسماليون الغربيون اغنياءهم فقلدناهم لاننا لا ندرك نصيبنا من نقمة الله ويتابعون ذوي الدعايات الصارخة فسرنا على منوالها لاننا لا نحس بما يقتضي الوطن ، وينحون نحو التيارات الفكرية الجديدة التي تلائم صناعتهم ومعيشتهم فانجرفنا معهم لاننا لم نفطن الى ما تتطلبه الكرامة .

ومن اجل ذلك كانت اقدس زعامة شاملة في الاقطار الشرقية هي زعامة جمال الدين .

لقد سعى السيد الافغاني لا يقاظ الشرق الاسلامي كله فوفق الى شيء عظيم لما كان يتمتع به من توسع في آفاقه وتوثب في فكره واخماد لنزوات التعصب لقطر أو مذهب أو دين .

وليس السيد الافغاني موضع تفاخر فهو قد حارب التفاخر الذي يقتل الهمم والمهم ان يقتدي المسلمون اليوم بكفاحه لاحياء المجد التليد ، ونضاله في سبيل حرية الفكر و بكرامته الفوارة التي كانت تحاكي البحر الهائج غضباً من تأخر الشرقيين واستياء من عدم قدرتهم على اللحاق بغيرهم ونقمة على انهم لم يتركوا الجهل والاحقاد والتعصب الذي يفرق بينهم .

لقد شبت شجيرة العبقرية هذه في آسيا الاسلامية ، و بعد أن تكامل نموها مدت بجذورها في اعماق العالم الاسلامي ثم سعت الى تقويم اعوجاج هذا العام ، ودأبت طيلة حياتها على تسليط المياه الصالحة لانمائها وجلب الاسمدة الصالحة لتقويمها ، وتشذيب الاشجار التي لا تثمر الا بعد التشذيب ، وتقريب الاشجار النائية عن اخواتها فلا فرق عند هذا السيد بين افغاني وايراني وعربي ، كما لا فرق عنده بين الشرقيين إن كانوا مسلمين ام مسيحيين ام يهود .

كان ـ رحمه الله ـ يقتلع الجذور النتنة والحسك البغيض والشوك المؤذي ليحل محلها الاغراس الجديدة والاشجار المثمرة و يعني بان تكون صالحة للنماء فى البيئة الشرقية ملائمة لطقوسها مساعدة على تغذية ابنائها ،

فقــد كان هذا السيد اعظم استاذ شرقي في علم البستنة ، كما كان اعظم طبيب لامراض الشرق

إن وجد هذا البستاني العظيم غرسة التفرق محاها لتزهو غرسة الاتحاد، وإن رأى غصون البغضاء سحقها لتشيع زهور المحبة ، وإن عثر على شجيرات الجهل طمها لتكون سماداً لشجيرات المعرفة ، وان صادف شجرة الحسد اقتطعها لتحل محلها شجرة الغبطة الزاهية أو شهد شجرة الرذيلة ركلها لتنعم شجرة الفضيلة المنعشة ، أو شم رائحة اغراس الظلم النتنة اهاب باتباعه ان يزيلوها من الوجود ويهيئوا التربة الصالحة لورود الحرية النفاحة.

هكذا سل هذا السيد كل السخائم من قلوب اتباعه ومريديه فان بقي فيهم شيئاً من التعصب فمن اجل اوطانهم أو قليلا من الغضب فلحريتهم أو رائحة للغضب فى طباعهم فعلى اعداء اوطانهم .

لهذا السبب صار جميع اتباعه ومريديه من عظماء الرجال وفحولهم فرعوا حقوله الزاهية في زمانه وتعهدوا بساتينه النضرة من بعده ، وها ان اتباعهم يتمون ما بدأ به هذا السيد العظيم .

ستمر بنا اليوم رفات رجل لا ككل الرجال ، عاش من اجل فكرة رام تحقيقها ولم يثنه في الحياة شيء على الرغم مما كان في زمانه من طغاة وجهال ، وقد ابصر في هذه الفكرة جمالا دعته الطبيعة جمال الدين .

وسلام عليك في الخالدين ؟

الافغاني والصحافة

« للاستاذ محمد حسن الصوري
صاحب مجلة الحضارة البغدادية الغراء »

إذا كملت العبقرية الفذة في انسان ، وثبتت راسخة خالدة تعددت آنذاك نواحي العمل فيه ، وبرزت للحياة صور جديدة من الأفكار المثالية العالمية ، وكونت في دنيا الانسان اثراً قوياً للطموح نحو التقدم والسمو ، ورجاء قريباً من الحق والعدل .

والسيد الافغاني هو اروع مثال لهذه العبقرية الخالدة ، التي جاءت إلى هذه الحياة ،فاحدثت فيهاشيئاًجديداً من حريةفي الفكر ، ويقظة فى الضمير ، وتنبه في الشعور .

لقد وجد السيد الافغاني أن اقرب العوامل الفعالة فى نشر أفكاره وآرئه الحديثة ، ان يركن الى الصحافة فحين ورد مصر في عهد اسماعيل باشا استطاع ان يثير روح الحماس والعمل في نفوس جماعة من الرجال الاذكياء فانشأوالذلك صحفاً جريئة تعبر عن مبادئهم بصراحة كاملة فصحيفة (مصر) صدرت في القاهرة لاديب إسحاق كانت لسان حال هؤلاء الناهضين وكان

السيد الافغاني يسرف عليها ، و يبعث فيها احساساً بليغا من القول الصارم ، والآراء الحديثة الناضجة بتوقيع (مظهر بن وضاح) ، وفي الاسكندرية صحيفة (التجارة) كانت صوتا صارخا للعمل والاصلاح له ولتلامذته المصلحين كاللقاني والشيخ محمد عبده وامثالهما ، ثم أعد جماعة آخرين لتوجيه جريدة (الوقائع المصرية) حسب البرنامج الذي أعدوه لنهضتهم السريعة الاصلاحية ، وهناك صحيفة أخرى هزلية صبغها المصلح الافغاني باللون الذي اراده من التعرض بسياسة اسماعيل باشا ، وكان يصدرها الكاتب الفكه (يعقوب مصوغ) باسم (ابو نضاره)

وهكذا استطاع السيد الافغاني ان يبعثها صرخة مدوية فى ارجاء مصر فيحدث فيها روحاً متوقداً للحماس الوطني الثائر ، وللوثبة الجبارة السريعة ، ولكن ولاة الأمور حين رأوا أن الافغاني قد استفحل أمره ، وأنه خلق فى مصر أمة تعرف كيف تحاسب فكان من نتيجة هذا أن اخرج من مصر وهو هادىء النفس ، مطمئن الضمير ، ذلك لأنه استطاع ان يوجد تيقظا في الشعور بمقدرته الصحفية ، واحاديثه التي كان لا يخلو منها ناد او مجلس ، حتى قال عنه تلميذه الشيخ محمد عبده (كان السيد جمال الدين يلقي الحكمة لمريدها وغير مريدها ، ومن خواصه أنه يجذب مخاطبه الى ما يريد وان لم يكن من اهله ، وكنت احسده على ذلك ، لانني تؤثر في حالة المجلس للوقت ، فلا تتوجه نفسي للكلام إلا اذا رأيت له محلا قابلا ، واستعداداً ظاهراً) وقال عنه سليم بك العنجوري « كان من ديدن جمال الدين ان يقطع بياض نهاره في داره



العقيد العظم في أزيائه المختلفة

حتى اذا جن الظلام خرج متوكئاً على عصاه الى مقهى قرب الأزبكية ، وجلس فى صدر فئة تتألف حوله على هيئة نصف دائرة ، فيتسابقون الى القاء أدق المسائل عليه ، و بسط اعوص الاحاجي لديه ، فيحل أشكالها فرداً بلسان عربي مبين لا يتلعثم ولا يتردد بل يتدفق كالسيل من قريحة لا تعرف الكلال ، فيدهش السامعين ، و يفحم السائلين ، و يبكم المعترضين » .

ثم انه حين إنتقل إلى باريس بعد اقامته في لندن زمناً قليلا أصدر فيها صحيفة (العروة الوثقى) وكان يحررها الشيخ محمد عبده و يترجم لها ميرزا محمد باقر ، صدر منها اثنا عشر عدداً في اثنى عشر شهراً تبدأ من تاريخ ١٥ جمادي الأولى سنة ١٣٠١ هـ (١٣ مارس سنة ١٨٨٤ م) وكانت هذه الصحيفة يوزع اغلبها مجاناً ذلك لأن القائم بها جمعية سرية ، لها عدة فروع في سائر العالم الشرقي ، فهي لا تريد من ورائها الربح ، وانما المهم عندها نشر المبادىء الصحيحة الواجب اتباعها والدفاع عن التهم الموجهة الى الشرقيين و بث روح الوحدة بين سائر الامم الاسلامية بل الشرقية على العموم .

***

اما الناحية الادبية فى حياة الافغاني فنترك التحدث عنها الى الاستاذ أحمد أمين بك فقد قال فى مجلة الثقافة : « كان الادب عبد الارستقراطية ، لاهم له إلا مدح الملوك والأمراء ، والتغني بأفعالهم وصفاتهم مهما كانوا ظلمة فجاراً ؛ فكل حاكم سيد الوجود فى زمانه ، آت بالمعجزات في اعماله ، الفن والادب موسيقى لطربه ، وبهلوان لتسليته ، وعبيد مسخرة لنهش اعدائه ،

ومدح او ليائه ، الاديب الصغير مداح للغني ، والاديب الكبير مداح للامير الكبير ، فأتى جمال الدين فسخر الادب في خدمة الشعب ، يطالب بحقوقه ، ويدافع عن ظلمه ، ويهاجم من اعتدى عليه كائناً من كان ، يبين للناس سوء حالهم ، ومواضع بؤسهم ، و يبصرهم بمن كان سبب فقرهم ، ويحرضهم ان يخرجوا من الظلمات الى النور ، وان لا يخشو بأس الحاكم ، فليست قوته الا بهم ، لا غناه الا منهم ، وان يلحوا في طلب حقوقهم المغصو بة ، وسعادتهم المسلوبة فخرج على الناس بأدب جديد ، ينظر للشعب اكثر مما ينظر الى الحاكم ، وينشد الحرية ، ويخلع العبودية و يفيض في حقوق الناس ، وواجبات الحاكم ، ويجعل من الاديب مشرفاً على الامراء لا سائلاً يمد يده للاغنياء . وهذه نغمة جديدة لم يعرفها المسلمون منذ عهد الاستبداد » ؟

الأفغان والعراق

> الدين الاسلامي يكاد يكون منفرداً من بين الاديان بتقريع المتقدين بلا دليل وتوبيخ المتبعين للظنون ، هذا الدين يطالب المتدينين أن يأخذوا بالبرهان في أصول دينهم ، وكلما خاطب ، خاطب العقل ، وكلما حاكم ، حاكم الى العقل .
>
> « من كلمات الافغاني »

لئن كان مرور رفات مصلح الشرق وفيلسوف الاسلام السيد محمد جمال الدين الحسيني الافغاني عبر العراق ، فرصة مناسبة لاظهار شعور العراقيين نحوه ونحو بلده الافغان ، فانه فرصة اخرى لرسم صورة للعلاقات الاخوية العتيدة بين الافغان والعراق هذين القطرين الشرقيين اللذين ارتبطا باوثق الروابط منذ العصور الواغلة في القدم .

فبين الافغان والعراق صلات قوية قديمة ، تمتد الى قيام الحضارات الاولى في العراق ، الى عهد البابليين والاشوريين ، الذين امتد سلطانهم الى الافغان وامتزجوا بالشعب الافغاني فتأثروا بحضارته واثروا عليه بحضارتهم ، وكانت الافغان من القدم احد طرق الاتصال البرية بين العراق والهند تمر في بلادها القوافل الذاهبة من العراق الى الهند والآتية له فتنقل معها ما في العراق من صادرات الى الافغان ، وما في الافغان الى العراق .

ولقد كان شروق الدين الاسلامي من اهم الاسباب في تقريب العلاقات بين العراق والافغان فقد سارت انواره الى تلك البلاد ، واهتدى الناس بهديها ، وكان العراقيون في جيوش الخلفاء الراشدين والامويين في طليعة

حاملي مشعل هذا النور ، فصارت الافغان جزءاً من البلاد الاسلامية ، وساهم رجالها في العهد العباسي فالبرامكة من بلخ الافغانية ساهموا حقبة طويلة في سياسة الدولة العباسية العليا ، والقائد المشهور طاهر بن الحسين من مدينة هرات كان من اقوى قادة جيوش المأمون ، بينما لمعت اسماء افغانية كثيرة في مختلف العلوم والاداب والفقه منهم الحكيم ابو نصر الفارابي ، والشيخ الرئيس ابو علي بن سينا (بلخ) ، والعلامة ابو ريحان (بيرون) وابو معشر الفلكي (بلخ) والحكيم ناصر خسرو (بلخ) والامام الاعظم ابو حنيفة (كابل) ، والامام احمد ابن حنبل (مرو) ومولاي جلال الدين (بلخ) والحكيم سنائي (غزنة) وخواجه عبدالله الانصارى (هرات) والامامين محمد واحمد الغزالي والحكيم عمر الخيام اللوكرسي ، ورشيد وطواط (بلخ) ، بينما اقام الصفويون — وهم من احفاد الامام علي بن ابي طالب (ع) — حكومتهم الصفوية هناك والتي كانت من اقوى والمع الحكومات الاسلامية .

ولم يقتصر سلطان الصفويين على الافغان فحسب ، بل امتد الى ايران حيث تمكن مؤسس الدولة اسماعيل الصفوى سنة ٩٠٦ ﻫ من الاستيلاء على تبريز ، وصار ملكا عليها ، ثم وجه قائده « لالا حسين » فاستولى على بغداد عام ٩١٤ ﻫ ثم اعقبه احد الامراء الصفويين « ذو الفقار » فاستقل ببغداد ، وخلفه « محمد خان تكلو » الذى استمر فى حكم بغداد حتى ٢٤ جمادي الاولى سنة ٩٤١ حين وصل جيش السلطان العثماني بغداد وفتحها .

وقد كانت الصفات المشتركة بين الشعبين الافغاني والعراقي وفي مقدمتها ، الشجاعة والفروسية والكرم ، وحب الحرية والانفة ، والاباء والجلد

والصبر من اهم العوامل التي قربت بينهما فامتزجا امتزاجاً اخوياً طيباً .

ولقد كانت الحرب العظمى الماضية ، وما اعقبها من تيقظ فكري واجتماعي وسياسي ، وظهور دولة العراق الوطنية المستقلة ، سبباً في اقامة العلاقات بين هذين القطرين الاسلاميين على اسس متينة ، تكفل لها الدوام وتظهر دول الشرق الاوسط بمظهر محترم في المجموعة الدولية ، تدل على انّ الشرقيين عامة والمسلمين خاصة ، في طليعة الدول التي تعمل في حقل الحضارة الانسانية والسلام العام اذا ما اتيحت لها فرص العمل ، واذا ظهرت فيها دول مستقلة تقدر أن تعمل متآخية في جو من الود والصفاء .

***

أجل ! لقد نشأت بين الافغان والعراق - كما نشأت بينهما وبين الدول الشرقية الاخرى - علاقات سياسية جديدة على ضوء العلاقات العالميه ، فاضافت هذه العلاقات الى العلاقات القديمة بينهما ، من وحدة الدين ، والتاريخ الاسلامي ، والحضارة الاسلامية ، حلقة جديدة في سلسلة الاخاء والتعاون وحب السلام ، وفي صورتين من صور هذه العلاقات بين القطرين الاخوين فيها الكفاية للتدليل . الصورة الاولى معاهدة الصداقة بين الافغان والعراق ، والثانية ميثاق سعد آباد .

معاهدة العراق

كان لاستقرار الامور في الافغان على يد ملكها المعظم محمد نادر شاه ، وبلوغ العراق مرحلة مدهشة من التقدم والرقي والكيان الدولي بفضل باني مجده المغفور له الملك فيصل الاول ، وظهور هاتين الدولتين على مسرح السياسة العالمية ، خاصة سياسة الشرق الاوسط ، أثر فعال في ضرورة ايجاد روابط سياسية حديثة بينهما ، ليستطيعا بفضلها التقارب ومن المساهمة الفعالة في توجيه سياسة الشرق الاوسط توجيها صالحاً يدر بالخير والبركة على شعوب هذه المنطقة الحيوية من العالم .

وقد اثمرت المساعي التي بذلها رجال الدولتين ثمرها المطلوب، فعقدت بين الافغان والعراق معاهدة صداقة بتاريخ ٢٠ كانون الاول ١٩٣٢ م ، بعد مداولات بين الوزيرين المفوضين المملكتين في طهران وابرمتهما الحكومتان فكانت الحجر الاول القوي في اساس التعاون الاخوي العتيد . وهذا هو نصها :

معاهدة الصداقة

بين العراق وافغانستان

لما كان كل من :

صاحب الجلالة ملك العراق .

وصاحب الجلالة ملك افغانستان .

راغبين في تأسيس أواصر الصداقة وحسن التفاهم بين بلديهما فقد عينا لهذا الغرض مندو بين عنهما وهما :—

عن جلالة ملك العراق :

فخامة توفيق بك السويدي الوزير المفوض والمندوب فوق العادة للعراق في ايران (طهران) .

وعن جلالة ملك افغانستان :—

فخامة السردار شير احمد خان سفير افغانستان في ايران (طهران) .

اللذين بعد ان بلغ كل منهما الآخر اوراق تفويضه فوجدت صحيحة وطبق الاصول قد اتفقا على ما يأتي :—

المادة الاولى : يعترف كل من الفريقين المتعاقدين الساميين باستقلال الفريق الآخر ويصرح بغرضه على اقامة سلم دائم وصداقة ابدية بين المملكتين

المادة الثانية : يتفق الفريقان المتعاقدان الساميان على تأسيس علاقاتهما الدبلوماسية والقنصلية على اساس القانون الدولي العام و يتفقان

على أن يتمتع الممثلون الدبلوماسيون والقنصليون لكل منهما فى اراضي الآخر بالمعاملة المقررة بمبادىء وتعامل القانون الدولي العام .

المادة الثالثة : تبرم هذه المعاهدة ويجري تبادل وثائق الابرام باسرع ما يمكن في طهران .

وتصديقاً لذلك وقع المفوضان فى هذه المعاهدة واثبتا ختميهما عليها .

كتبت بالافرنسية عن نسختين فى طهران فى ٢ كانون الأول ١٩٣٢ .

شير احمد   توفيق السويدى

***

وهكذا ، وبفضل جهود جلالة الملكين الخالدين محمد نادرشاه وفيصل الأول اشرقت على الافغان والعراق انوار جديدة من الاخاء .

وحري - كما قالت جريدة البلاد الغراء بهذه المناسبة - : « بالعراق أن يغتبط بما يلقيه فى حياته الدولية من الخطوات يوماً بعد يوم ، وهذه المعاهدات التي يعقدها على التوالي مع الدول ولا سيما الشرقية منها تزيد فى كيانه تثبيتاً ، ولشخصيته فى العالم الدولي ذيوعا ، كما نأنس باحكام الروابط بين شعوب الشرق الملقاة على كواهل ابنائه واجبات النهوض والعمل متحدين مع اخوانهم فى كل صقع وقطر . » ؟

ميثاق سعد آباد

ثم .. و بعد ثلاث سنوات جاءت الخطوة الموفقة التالية لايجاد الروابط المتينة لا بين الافغان والعراق فحسب ، بل و بين تركيا وايران ، فقد انتهز وزراء خارجية العراق وتركيا وايران فرصة اجتماعهم في مجلس عصبة الامم بجنيف عام ١٩٣٥ ، فبحثوا مشروع ميثاق لدولهم على اسس قويمة من عدم التعدي وحل الخلاف بالتحكيم وعدم الاشتراك في اي حركة عدائية ، فوفقوا لذلك واقرت أسس المشروع دولهم ، وعرض على الافغان فاقرته ، فاستقبل الشرقيون هذا الميثاق بحماس وصاروا ينتظرون توقيعه بفارغ الصبر ويرجون أن يكون خطوة في سبيل الجامعة الشرقية وفي تعزيز الروابط الاخوية والدينية والودية والاقتصادية التي تربط الشعوب المشتركة فيه ، فهو يضم اربع دول تمثل اربعة شعوب من أعظم شعوب الشرق الادنى والاوسط .

وفي تموز ١٩٣٧ ، اجتمعت وفود الدول الاربع في طهران وفي اليوم السابع منه وقعوا الميثاق بقصر سعد آباد واسموه باسمه بناء على اقتراح معالي وزير خارجية ايران ، بالنص التالي :

ميثاق سعد آباد

« بعد ذكر الديباجة واسماء وزراء الخارجية للدول الاربع الذين بعد أن تبادلوا وثائق تفويضهم فوجدوها صحيحة اتفقوا على ما يأتي : ـ »

المادة الاولى : يتعهد الفرقاء المتعاقدون السامون باتباع سياسة الامتناع المطلق عن أي تدخل في شؤونهم الداخلية .

المادة الثانية : ـ يتعهد الفرقاء المتعاقدون السامون تعهداً صريحاً بمراعاة حرمة حدودهم المشتركة .

المادة الثالثة : ـ يتفق الفرقاء المتعاقدون السامون على ان يتشاوروا فيما يخص كل الاختلافات التي لها صبغة دولية ولها علاقة بمصالحهم المشتركة .

المادة الرابعة : يتعهد كل من الفرقاء المتعاقدين السامين نحو الآخر بان لا يعمد فى أية حالة من الحالات منفرداً أو بالاشتراك مع دولة أو دول اخرى الى اي تعد موجه الى أحد منهم .

يعتبر من اعمل التعدي :

١ — اعلان الحرب .

٢ — استيلاء دولة على اراضي دولة اخرى بقوة مسلحة ولو بدون اعلان حرب .

٣ — هجوم دولة بقواتها البرية أو البحرية أو الجوية على بلاد دولة اخرى أو بواخرها أو طياراتها بدون إعلان حرب .

٤ — اعانة واسعاف المعتدي بصورة مباشرة أو غير مباشرة .

لا يعتبر من اعمال التعدي :

١ — الالتجاء الى حق الدفاع الشرعي أي مقاومة عمل من اعمال التعدي حسب ما جرى تعريفه اعلاه .

٢ — القيام بتطبيق المادة ١٦ من ميثاق عصبة الامم .

٣ — الاعمال المتخذة بناء على قرار صادر من عصبة الامم أو مجلس عصبة الامم أو تطبيقاً للفقرة ٧ من المادة ١٥ من ميثاق عصبة الامم على أن يكون العمل فى هذه الحالة الاخيرة موجهاً نحو الدولة البادئة بالهجوم .

٤ — اسداء أحد الفرقاء المتعاقدين السامين المعونة لدولة هوجمت أو خرقت حدودها أو التوسل بالحرب من قبل أحد الفرقاء المتعاقدين السامين الآخرين خلافاً للميثاق العام لنبذ الحرب الموقع عليه في باريس في ٢٧ آب ١٩٢٨ .

المادة الخامسة : اذا رأى أحد الفرقاء المتعاقدين السامين ان المادة الرابعة من هذه المعاهدة قد خرقت أحكامها أو كادت تخرق فعليه أن يعرض القضية فوراً على مجلس عصبة الأمم .

ان هذا التدبير الأخير لا يؤثر في حق هذا الفريق المتعاقد السامي فيما يتخذه من الاجراءات التي يراها لازمة في مثل هذه الظروف .

المادة السادسة : اذا ما قام أحد الفرقاء المتعاقدين السامين باعتداء على دولة أخرى من غير الدول الموقعة على هذه المعاهدة فللفريق المتعاقد السامي الآخر إنهاء أحكام هذه المعاهدة نحو الفريق المعتدي المذكور

بدون سبق انذار .

المادة السابعة : يتعهد كل من الفرقاء المتعاقدين السامين كل داخل حدوده بعدم اعطاء مجال الى تأليف العصابات المسلحة والجمعيات أو كل ترتيب غايتـه قلب المؤسسات القائمـة أو قيامها باعمـال لغرض الاخلال بالنظام والأمن العام فى أي قسم من بلاد الفريق الآخر سواء أكان فى منطقـة الحدود أو فى غيرهـا أو الاخلال بنظام الحكم السائد فى بلاد الفريق الآخر .

المادة الثامنة : لما كان الفرقاء المتعاقدون السامون قد اعترفوا فى الميثاق العام لنبذ الحرب الموقع عليه فى باريس بتاريخ ٢٧ آب ١٩٢٨ بأن حل وحسم كل المنازعات أو الاختلافات من أي نوع او مصدر كانت والتي قد تنشب فيما بينهم يجب أن لا يكون إلا بالطرق السلمية فانهم يؤيدون هذا النص و يعلنون بانهم سوف لا يتبعون الا الاصول المقررة والتي ستقرر لهذا الغرض بينهم .

المادة التاسعة : ليس فى أية مادة من هذه المعاهدة ما يخل بالوجائب التي تعهد بها أحد الفرقاء المتعاقدين السامين بموجب ميثاق عصبة الامم .

المادة العاشرة : حررت هذه المعاهدة باللغة الفرنسية ووقع عليها باربع نسخ و يعترف كل من الفرقاء المتعاقدين السامين باستلام نسخة منها وانها عقدت لمدة خمس سنوات .

وعند انتهاء هذه المدة ما لم يكن أحد الفرقاء المتعاقدين قد أعلن انهائه هذه المعاهدة مع انذار سابق قبل ستة اشهر فان المعاهدة تعتبر

مجددة بطبيعة الحال لمدة خمس سنوات مجدداً وهكذا تجدد من مدة لاخرى الى أن يبلغ أحد الفرقاء المتعاقدين السامين أو قسم منهم رغبته في انهائها بعد اعطاء انذار بذلك قبل مدة ستة اشهر .

اذا انتهى حكم هذه المعاهدة مع أحد الفرقاء المتعاقدين السامين يبقى حكمها مرعياً بحق الباقين .

تبرم هذه المعاهدة من قبل كل من الفرقاء المتعاقدين السامين وفقاً لقانونه الاساسي وتسجل لدى عصبة الامم من قبل سكرتيرها العام الذي يرجى منه أن يبلغ باقي أعضاء جمعية العصبة بها .

وتودع وثائق الابرام من قبل كل من الفرقاء المتعاقدين السامين لدى حكومة ايران .

تدخل هذه المعاهدة حيز التنفيذ بين الفريقين المتعاقدين السامين حالا بعد أن تودع وثائق الابرام من قبل هذين الفريقين وتدخل حيز التنفيذ بحق الفريق الثالث عندما يودع هذا الفريق وثائق الابرام . وكذلك الأمر فيما يخص الفريق الرابع .

عند ايداع وثائق الابرام تبلغ حكومة ايران الفرقاء المتعاقدين الموقعين على هذه المعاهدة بذلك .

كتبت في قصر اسعد آباد (طهران) في اليوم الثامن من شهر تموز سنة تسعمائة وسبع وثلاثين بعد الألف .

ناجي الأصيل	فيضي محمد	سميعي	دكتور توفيق رشدي آراس
(العراق)	(الافغان)	(ايران)	(تركيا)

وبهذا الميثاق دخلت العلاقات بين دول الشرق الاسلامية الكبرى في دور جديد ، وهكذا « وضعنا ختماً لا يمحى على الروابط الصميمة والحلف الودي التي تسود بين أقطارنا الأربعة » كما قال معالي سميعي وزير خارجية ايران .

ولقد أصبح هذا الميثاق ـ كما قال معالي فيضي محمد خان وزير خارجية الأفغان ـ : « درساً أبدياً دائمياً غير منسي الحال واستقبال هذه الشعوب الشقيقة الأربع المتجاورة التي يجب عليها أن تعتبر نفسها في حياتها ومماتها مشتركة معاً » .

والميثاق ـ كما قال معالي وزير خارجية العراق ـ : « صفحة جديدة في تاريخ الشرق تظافرت جهود أمم مستقلة عن بعض وبمحض ارادتها الحرة تآزرت وتحالفت » ..

***

ولقد كان توقيع الميثاق مجالا خصباً لصحافة الأقطار الشرقية عامة ، فوصفته جريدة البلاد البغدادية بانه : « فتح بين هذه الدول المتحالفة عهداً جديداً حافلا بمظاهر الصداقة والاخاء . ومتى وضعنا نصب أعيننا الغاية المشتركة والهدف الموحد اللذين ترمي اليهما كل من هذه الدول الشرقية الأربع أدركنا العامل الذي يدفع هذه الدول الى التحالف والتآخي والتحاب » .

وعدته جريدة (جمهوريت) التركية انه : « ينطوي على صفحات جديرة بالتتبع ، و يعد بادرة جميلة جداً لحسن النية والاخلاص اللذين اخذا فى الآونة الاخيرة يتناقصان مع الاسف فى العالم قاطبة . و يصح اعتباره اول معاهدة تاريخية بين الدول الشرقية عقدتها بين بعضها بمحض رغبتها واستقلالها » .

وقالت جريدة (ايران) بصدده : « ليس لممالك الشرق الادنى سوى بغية واحدة هي مضاعفة السعادة والتعالي والعظمة لهذا الشرق ، ولا شك ان هذا الاجتماع الذي يعقده وزراء خارجية هذه الدول الاربع يحقق و يؤمن هذه البغية العظيمة علاوة على انه يعبد الطريق للوصول الى الهدف الاصلي وسيسجل التاريخ وثيقة هذا الاتحاد بين الدول الاربع على صفحات حوادث الشرق خاصة والعالم عامة بسطور ذهبية ممتازة » .

***

وهكذا كان الميثاق خطوة اخرى موفقة لتعزيز الصلات الودية بين الافغان والعراق ، هذه الصلات التي نمت واشتدت ووصلت الى درجة ممتازة فى الاعوام الاخيرة ، والتي نرجو مخلصين في العراق والافغان وفي كل بلد شرقي يحب سعادة الشرق ان تزداد وثوقاً اكثر حتى نبلغ في غدنا ما نصبو اليه من أماني وآمال ، ونعيش فى اوطاننا احراراً سعداء ؟


خريطة الأفغان
روسيا السوفيات
ايران
الهند
هندكوش
كابل
غارف
قلعنى غلزاى
جلال اباد
كشكا
كشك
هيرات
ميمه
مرغب
سارپيل
بلخ
مزار شريف
تاشقرغان
كندز
فايزه باكه
سبزوار
دولت احمد
فرح
لاش
نهر فرح
نهر هلمند
زدبار
شهرى زابول

الأفغان في سطور

* تقع افغانستان في آسيا الجنوبية وتشمل جغرافيتها الطبيعية والعنصرية القديمة مملكة الافغان الحالية مع بخاري وسمرقند في تركستان الروسية وخوارزم وخراسان وكرمان وجميع سيستان في ايران ، و بلوجستان والسند والبنجاب وكشمير في الهند .

* عرفت في التاريخ القديم باسم بلاد (آريانا) أو (آرياورتا) ، وسماها العرب في العصور الاسلامية الاولى (خراسان) ، ويقول المرحوم السيد جمال الدين الافغاني في كتابه « تتمة البيان في تاريخ الافغان » ان بلاده سميت بالافغان لان بختنصر البابلي لما اقتحم تلك البلاد واسر اهلها كان لهم انين وحنين وهو يسمى بالفارسية (افغان) . بينما يقول البعض من المؤرخين ان الافغانيين سمو (بغتو) الذي هو محرف عن (بختو) نسبة الى بختنصر الكلداني كما يدل على ذلك حتى الآن اسم اهم قبائلهم (البختيارية) .

* والعنصر الافغاني آري من (الهند اوربي) وقد اختلط بعناصر اخرى منها اليوناني والاصفر ، والسامي ، والهندي .

* اول من هاجر للافغان هم الآريون قبل الميلاد بـ ٣٠٠٠ عام ، ثم الاسكانيون المشهورون بالشجاعة وقد اسسوا دولة ذات حضارة طيبة ، وفي عام ٣٣٣ق م احتل الافغان الاسكندر المقدوني واسس وخلفاؤه دولة في (بلخ) دامت الى القرن الاول قبل الميلاد ، وانشأوا عدة مدن منها (اسكندرية مركيا نانا) و (اسكندرية اراقوسية) و (اسكندرية قفقاز) و بعد ذلك جاء (البارثيون) وهم من اصل آري فاسسوا دولة في خراسان وحاربوا الدولة الشرقية وفتحوا غرب هرات .

* وجاءت بعد هولاء القبيلة الكوشانيسة المنتسبة الى طائفة بخار الافغانية وصارت تستولي على البلاد ، وقد استطاع هولاء تأسيس دولة عظيمة هاجمها القائد الصيني (بان جيو) فاخضعها ، ولكنها نهضت بوجهه وتخلصت من حكم الصينيين ، وتحالفت مع الدولة الرومانية وتبادلت معها السفارة في عهد ملكها (كانيشكاي الاول) وقيصر روما (مارك انطوانيت) عام ٣٠ ق . م ، ثم مع خلفائه (آغسطس) و (يوليوس قيصر) .

* واعقب الكوشانيين (الهياطلة) أو (الهفتاليت) الذين عظم شأنهم وحكموا بلاد فارس موقتاً حتى داهمهم الترك من وراء نهر جيحون والهنود من الجنوب ، وكسرى انو شروان الفارسي من الغرب ، فقسمت الافغان بين هولاء الفاتحين و بقيت على هذا الحال حتى مجيء الاسلام .

* ولما بدأ الفتح الاسلامي لبلاد فارس ، مشت جيوش الخليفة الى الافغان وتمكن عبد الله بن عمر (رض) من فتح بلاد (سيستان) عام

٢٣ هـ ثم بلخ وهرات ، وفتح الاحنف بن قيس بدخشان عام ٣١ هـ ، واستمر العرب فى عهد الخلفاء الراشدين والامويين يفتحون البلاد حتى اجتازوها الى الهند بقيادة القاسم بن محمد الثقفي ايام الوليد بن عبد الملك .

* و بقيت الافغان تحت الحكم الاسلامي حتى ضعفت الدولة العباسية فاشتد ساعد الحكومات الاقليمية فاستقل (الصفاريون) ثم اعقبهم امراء الطوائف من السامانيين والغزنويين والغوريين حتى اقتحم البلاد (جنكيز خان) المغولي الذى دمر حضارة الافغان كما دمر حضارة البلاد الاخرى التي اجتازها وقد خلفه بعد وفاته (الجغتائيون) ثم ابناء (تيمورلنك) ، و بعدهم ابناء (الازبك) الى ان جاء (الصفويون) العلويون فحرروا الافغان من يد الازابكة و بقوا فيها حتى زاحمهم (الابداليون) واستولوا على (هرات) ، و (الهوتاكيون) واستولوا على قندهار ، وقد اسس الابداليون دولة قوية في هرات برئاسة احمد خان المسمى (احمد شاه بابا) .

* وشاهدت الافغان بعد هذا صوراً مروعة من الحروب حتى جاءت اسرة (محمد زائي) فاسست الدولة الافغانية الحديثة فتولى جلالة الملك (دوست محمد خان) الحكم عام ١٢٥٩ هـ ، و بعده الملك (شير علي خان) عام ١٢٧٩ هـ ، و (محمد افضل خان) عام ١٢٨٣ هـ . و (محمد اعظم خان) عام ١٢٨٤ هـ و (شير علي خان) عام ١٢٨٥ هـ و (محمد يعقوب خان) عام ١٢٩٦ هـ و (عبد الرحمن خان) عام ١٢٩٧ هـ و (حبيب الله خان) عام ١٣١٩ هـ و (امان الله خان) عام ١٣٣٧ هـ ، و بعد فترة (باجا سقا) جاء

الملك (محمد نادرشاه الغازي) عام ١٣٤٨ ﻫ وخلفه ولده الملك الحالي (محمد ظاهر شاه المتوكل على الله) عام ١٣٥٣ ﻫ .

* إن زرادشت مؤسس الديانة الزرادشتية في ايران هو افغاني من مدينة بلخ ، وكانت ديانته مؤسسة على الحكمة والقانون ولكن امتزجت بعقائد (التو ركها) وعباد النار ، وقد عمت ديانته الافغان ثم حلت محلها البوذية حتى جاء الاسلام فدخل الافغانيون فيه افواجا افواجا .

* اكتسب الافغانيون اللغة اليونانية والطب والفلسفة والفن اليوناني ، وقد استعملوا اللغة اليونانية مع الافغانيه في معاملاتهم ، ثم جاءت اللغة الهندية والعلوم السنسكريتية ، و بعدها اللغة الفارسية ، فالتركية ، فالعربية ، ومن هذه اللغات نشأت اللغة الافغانية الحالية التي تكتب بالحروف العربية الفارسية وتسمى (الداديكية أو التاجيكية) .

* يعد الملك امان الله خان اول من ادخل الحضارة الحديثة للافغان واول من تمكن من اعتراف الدول باستقلال بلاده ، وقد حاول (حبيب الله ابن السقا) المعروف بـ (بجاسقا) اعادة الفوضى للبلاد بعد أن نجح في حمل الملك امان الله على ترك بلاده وسكنى روما ـ ولا يزال بها حتى الآن ـ ولكن القائد الغازى محمد نادر شاه قضى عليه واعاد للبلاد قوتها ، وتوج ملكا عليها ، ثم تبعه نجله الملك الحالي صاحب الجلالة محمد ظاهر شاه المتوكل على الله .

* ولد جلاله الملك محمد ظاهر شاه المتوكل على الله عام ١٣٣٤ ﻫ و بعد أن اكمل دراسته الابتدائية والثانوية سافر مع والده الى فرنسا ـ حيث

عين سفيراً لحكومته - فتلقى في باريس علومه العالية . ولما عاد والده الى كابل وتوج ملكا على الافغان رجع جلالته والتحق بالكلية العسكرية وبعد تخرجه منها صار وكيلا لوزارة الحربية ثم لوزارة المعارف فاظهر في هاتين الوكالتين مقدرة ممتازة ، وفي عام ١٣٥٣ هـ اغتيل جلالة والده فتبوأ العرش مكانه ، وبدأ اعماله المجيدة في رقي المملكة ونشر العلوم واتباع سنن اسلافه في ادارة شؤون الدولة .

* ونظام العرش في الافغان لا يسير على طريقة الوراثة ، بل للاصلح والاعلم من رجال العائلة المالكة ، وينتخب ولي العهد بواسطة اعضاء مجلس خاص يسمى (الجركا) الذي يهيمن على كل شيء في البلاد ، و (الجركا) كلمة افغانية صرفة ، واعضاء هذا المجلس ينتخبون من بين المفكرين من جميع المدن والقبائل ومن كل طبقة حاكمة وحكمهم قاطع وليس لاحد اعتراض عليه ، ولا يعقد (الجركا) الا عند الضرورة وفي الاوقات العصيبة .

* وجلالة المرحوم الملك محمد نادر شاه الغازي هو الذي سن لبلاده دستورها عام ١٩٣١ م وجعل بلاده مملكة ديمقراطية دستورية على رأسها ملك ومجلس وزراء ومجلس شيوخ ومجلس نواب مكون من ١٠٠ عضو ينتخبون بالاقتراع .

* ويوجد بجانب مجلس الشيوخ والنواب مجلسان آخران هما مجلس الشورى ومجلس (الجركا) آنف الذكر .

* تتألف الوزارة الافغانية من عشر وزارات وبامر الملك ولا تسقط ولا

تتبدل الا فيما ندر ، ولها نظام لا وجود له في اي مملكة من ممالك العالم ، لان الوزارات المذكورة على درجات مختلفة ، أولها الصدر الاعظم - رئيس الوزراء - ثم يليه الاول فالثاني .. الخ على الترتيب التالي : وزير الحربية . الداخلية . العدلية . المالية . المعارف . التجارة . الصحة . البرق والبريد والتلفون . الفوائد العامة . والصدر الاعظم ووزيرا الحربية والخارجية هم اشقاء الملك محمد نادر شاه ، واعمام الملك الحالي .

* في الافغان تقسيمات ادارية خاصة ، فهناك مقاطعات رئيسية يديرها (حكام عامون) ، واربع ولايات يرأسها (مندوبون سامون من الافغانيين) .

* هيأت الافغان لبلادها جيشاً حديثا مدرباً احسن تدريب وله ميزانية كبيرة تحتل جانباً هاماً من ميزانية الدولة وهو مزود بكافة عدد الحرب الميكانيكية الحديثة .

* والتعليم في الافغان مجاني واجباري وتصرف وزارة المعارف ما يمكن صرفه من الكتب والادوات والملابس على الطلاب مجاناً .

* وفي الافغان مجموعة من الكليات العالية ومعاهد الدراسة المختلفة تتجمع كلها تحت عنوان (دار الفنون) يتخرج منها عدد كبير من المثقفين واشهر هذه المعاهد هي : كليات الحقوق ، والطب ، والصيدلة ، والهندسة ، ودار المعلمين العالية ، ومدرسة اللغات ، بجانب المعاهد العسكرية .

* وقد بذلت العناية لجعل اللغة الوطنية (البشتو) لغة الدوائر والحكومة واحلالها محل الفارسية (الداديكية) .

* في الافغان منابع غزيرة للنفط تقع في جنوبها الغربي على الحدود

الايرانية والهندية وتشغل مساحة ٢٥٠ الف ميل مربع ، وقد منحت شركة (اندليند اكسيلوريش) الامريكية امتياز استثمار النفط لمدة ٧٥ سنة منذ عام ١٩٣٧ .

* وفي الافغان مصلحة خاصة باسم (مصلحة حماية الصناعة الافغانية) انشئت سنة ١٩٣٧ وظيفتها حماية الصناعة الافغانية من المزاحمة الخارجية وتشجيع الناس على ترقية الصناعة وتأسيس المعامل الجديدة ، وتشجيع المخترعين وتأمين احتياجات المعامل الوطنية وهي ملحقة بوزارة التجارة .

* وفي الافغان نوع واحد من الفلاح الافغاني هو الفلاح المالك ، ولا يوجد اجير في الزراعة ، وحياة الفلاح الافغاني منظمة وبيوته نظيفة ، والحكومة تؤجر للفلاحين آلات الحراثة ، بينما تقوم الجمعيات والشركات الزراعية بشراء المحصول .

* ويعد التبغ من أهم حاصلات الافغان الزراعية ، ويليه الافيون ، والبقول ، والجوز ، والصنوبر ، والموالح ، وقصب السكر ، والبنجر ، والفواكه ، واهم الحاصلات الحيوانية الماشية وصوف الغنم المعروف بـ « قرة قول » والحرير .

* المستوى الصحي في الافغان عال جداً وذلك لطبيعة البلاد الجبلية ووجود اسوار جبلية منيعة تحيط بها تحول دون تسرب الامراض السارية لها ، والحكومة تعني عناية ممتازة بالصحة العامة ، وقد فتحت المستشفيات الكثيرة في انحاء البلاد للمعالجة .

* يتمسك الافغانيون اشد التمسك بتقاليدهم القومية ، والاسلامية

وهم شديدوا التدين والايمان ، واميز صفاتهم الشجاعة ، والصبر ، وقوة الارادة ، وتعشق الحرية ، والصراحة ، وهم شديدو الكره للغريب ، لكنهم اذا ألفوا له واطمأنوا اولوه عنايتهم وا كرموا وفادته .

* والمرأة الافغانية كالرجل الافغاني جسورة شجاعة صبورة ، محتشمة وقورة ، تتمسك بالدين الاسلامي اشد التمسك ، بعيدة عن السفور والتبرج ، فهي امرأة « بيت » بكل ما في هذه الكلمة من معاني .

* دين الافغان الرسمي « الاسلام » ، ولاتوجد في البلاد احزاب سياسية ولا جمعيات ، وفيها عدد من الصحف اليومية تصدر سبعة منها في العاصمة « كابل » ، وعدد من المجلات الاسبوعية والشهرية .

* اشهر مدن الافغان هي « كابل » العاصمة ، و بعدها قندهار وقد كانت العاصمة فى الزمن االسالف ، وهرات . مزار شريف . خان آباد . جلال آباد . غزنه . دولت آباد . ميمنه . فراه . جخانسوه . بلخ . قدغني بدخشان .

* طبيعة البلاد الجبلية جعلت من الصعب مد السكك الحديدية فيها ، وصار الاعتماد في التنقل من مكان لآخر ، وفي نقل البضاعة على ظهور الدواب والسيارات .

* تبلغ مساحة الافغان حوالي ٧٠٠ الف كيلو متر مربع . ويحدها من الشمال روسيا السوفيتية « بلاد التركمان » ومن الجنوب بلوجستان « الهند » ومن الشرق البنجاب « الهند » ومن الغرب ايران .



خارطة العراق
تركية
كركوك
الديوانية
المنتفك
خليج فارس

العِراقُ في سُطور

* تشمل جغرافية العراق ، الارض الواقعة بين جبال ايران شرقاً وجبال طوروس فى تركيا شمالا وصحراء الشام غرباً والخليج العربي جنوباً .

* يعد العراق باجماع الباحثين ورجال الآثار انه شهد أول مدينة فى العالم على يد السومريين الذين اقاموا لهم حكومة في جنوبه واتخذوا مدينة (اور) عاصمة لهم ، وكان احد ملوكهم المسمى (كوداً) اول ملك وضع (قانوناً) في الدنيا ، ثم جاء بعد السومريين الاكديون وهم من القبائل العربية التي هاجرت من بطن الصحراء واقاموا فى وسط العراق وجنوبه حكومة قوية ، وجاء بعدهم البابليون فاضافوا لما تقدم اجمل حضارة انسانية وانشأوا مدينتهم الخالدة في وسط العراق من جهة الصحراء وقد وضع (حمورابي) احد ملوكهم قانونه الخالد الذى يعد بحق من ارقى القوانين القديمة ، وثاني قانون في العالم بعد قانون « كوداً » ، ثم اقام الآشوريون - وهم من القبائل العربية - دولة لهم في شمال العراق وفى المناطق الجبلية ، وامتد سلطانهم على كافة انحاء العراق وشمال البلاد العربية والانضول وايران فكانوا اعظم دولة عسكرية عرفت في التاريخ القديم ، واقاموا حضارة رفيعة ، تركوها الى الكلدانيين العرب الذين أسسوا لهم دولة فى بابل مرة اخرى ، فظهر فيهم الملك بختنصر المشهور

صاحب الجنائن المعلقة السبعة التي تعد من عجائب العالم القديم .

* اما تاريخ العراق منذ الفتح الاسلامي الى ما قبل الحرب العظمى فقد حفلت به كتب التاريخ خاصة عهد الدولة العباسية وايام بغداد .

* وعلى اثر انتهاء الحرب العظمى الماضية تألفت في العراق حكومة وطنية بزعامة البيت الهاشمي العريق فكان الملك فيصل بن الحسين اول ملك حكم فيها حيث توج في ٢٣ آب ١٩٢١ ملكا على العراق باسم فيصل الاول فكان هذا بدء نشوء الدولة العراقية الحديثة .

* وقد تمكن جلالته من تأليف دولة ديمقراطية دستورية برلمانية ونظم كافة العلاقات مع حلفائنا الانكليز عام ١٩٣٠ بمعاهدة صداقة وود ، وأدخل العراق عصبة الامم .

* ثم توفاه الله في ٨ ايلول ١٩٣٣ فتولى الحكم ولي عهده نجله الامير غازي باسم الملك غازي الاول ، وسار على خطة ابيه في اصلاح المملكة حتى ٤ نيسان ١٩٣٩ حيث ارتحل الى دار البقاء فانتقل العرش لنجله الصغير الامير فيصل باسم الملك فيصل الثاني ، على ان يتولى الوصاية عليه خاله سمو الامير عبدالآله المعظم بن الملك علي شقيق الملك فيصل الاول حتى يبلغ سن الرشد كما وجعله مجلس الامة « البرلمان » ولياً للعهد طالما لا يوجد للملك الصغير ولي عهد .

* نظام الحكم في العراق ديمقراطي دستوري نيابي والعرش ينتقل لاكبر أبناء الملك من الذكور ، ويتألف مجلس الأمة « البرلمان » من مجلسين ، مجلس النواب وينتخب بالاقتراع العام لمدة أربعة أعوام بنسبة

نائب واحد عن ١٢ ألف من الذكور الذين لهم حق الانتخاب ، ومجلس الأعيان وعدد أعضائه ربع أعضاء المجلس الأول ويعين من قبل جلالة الملك من الأشخاص الذين لهم خدمات ممتازة في الدولة .

* ونظام الوزارة في العراق برلماني ، أي ان مجلس الوزراء مسؤول أمام مجلس الأمة كالنظام الانكليزي والمصري ، ويتألف مجلس الوزراء من رئيس الوزراء ووزراء . الداخلية . الخارجية . المالية . الدفاع . الأشغال والمواصلات . العدلية . الاقتصاد . المعارف . الشؤون الاجتماعية .

* ادارة الحكم في البلاد مركزية ، أي تدار من قبل الحكومة المركزية في العاصمة ، وقد قسمت اداريا الى ١٤ منطقة كل منطقة تسمى « لواء » يديرها موظف يسمى « متصرف » ، ويقسم اللواء الى عدد من المناطق مفردها « قضاء » يديره موظف يسمى « قائممقام » ، وكذلك يقسم القضاء الى عدد من المناطق مفردها « ناحية » يديرها موظف يسمى « مدير ناحية » فهذا الاخير يتصل مباشرة بالقائممقام ، وهذا يتصل بالمتصرف ، والمتصرف يتصل بالحكومة المركزية في العاصمة .

* ان كل ما في العراق اليوم من نهضة حديثة يعود فضلها لجلالة الملك فيصل الأول وخلفائه من بعده وهكذا يعد الملك فيصل الأول بحق باني مجد العراق ومؤسس كيانه ، والعراق مدين له ولخلفائه بكثير من الفضل والأيادي البيضاء .

* يقسم التعليم في العراق اليوم الى ثلاث مراحل ، الأولى « الابتدائية »

وهي مجانيـة للجميع ، والزاميـة ، ويقضي فيها الطالب ست سنوات على درجتين « أولية ومدتها أربع سنوات ، وابتدائية سنتان » ، والثانية « الثانوية » وهي مجانية كذلك لجميع الفقراء ، وللمتفوقين ، وباجر زهيد للاغنياء غير المتفوقين ، وهي على درجتين (متوسطة ومدتها ثلاث سنوات واعدادية ومدتها سنتان » والمرحلة الثالثة هي العالية ،حيث يتخصص فيها الطلاب ، ولا يجوز دخول هذه المرحلة الا بعد ان يجتاز الطالب امتحاناً جامعاً « بكلوريا » معترف به فى اكثر اقطار العالم ، وكذلك الحال في المرحلات الابتدائيه . الاعدادية اذ لا يقبل فى القسم الثاني الا بعد نجاحه فى امتحان جامع ، وكذلك في القسم الثالث .

* والمعاهد العالية في العراق اليوم هي كليات :الحقوق . الطب. الصيدلة . الهندسة . دار المعلمين العالية . بجانب عدد من المدارس المهنية كمدارس الصناعة ، ودور المعلمين القروية ، والمدنية ، والزراعة ، والتجارة والفنون ، ودار العلوم العربيـة والدينيـة ، والممرضات ، والموظفين الصحيين .

* ويفتخر العراق بجيشه الباسل الذي وطد دعائم امنه واستقلاله ،وقد اعيد تنظيمه اخيراً على ضوء التطورات الحربية الحديثة ، وزود بمختلف الاسلحة الميكانيكية ، وله مجموعة من المدارس الفنية منها (كلية الاركان) حيث يتخرج منها الضباط الاركان و « الكلية العسكرية » ويتخرج منها الضباط برتبة « ملازم ثاني » ومدارس النقليات الآلية ، واللاسلكي والاسلحة الخفيفة ، والهندسة ، والطيران ، وضباط الصف ، والاعاشة ،

... الخ . والتجنيد في العراق اجبارياً ويشمل كافة العراقيين ، كما أن خريجي المعاهد العالية يدخلون دورة حربية يتخرجون منها برتبة ضابط « ملازم ثاني » .

* ويوجد بجانب الجيش قوة « الشرطة » لمحافظة الامن الداخلي . وهي مشاة وخيالة وآلية ، ولها مدارس خاصة لتزويدها بضباط الصف والمفوضين ، والضباط ، وملحقة بوزارة الداخلية على شكل « مديرية عامة » ، وتقوم بشتى مهام الامور الداخلية التي تتطلبها راحة وطمأنينة الشعب وأمنه .

* وقد عنت الحكومة عناية طيبة بالاقتصاد الوطني ، ولما كانت بلاد العراق زراعية ، فقد نظمت الانهار وصينت الاراضي من اخطار الفيضان واقيمت السدود الفنية والخزانات ، وشقت الجداول والترع والنهيرات ، ولا زال مشروع التنظيم الزراعي اهم ما تعني به الحكومة ، لانه عماد ثروة البلاد ومصدر خيراتها .

* وقد تقدم المستوى الصحي كثيراً ، إذ انشئت اليوم عشرات المستشفيات فى مختلف انحاء القطر لمعالجة المرضى مجاناً ، وقد كوفحت الاوبئة الوافدة واكثر الامراض المستوطنة ، وتعتني الحكومة والشعب عناية خاصة فى الناحية الصحية التي كانت متأخرة جداً وتؤلف أكبر خطر على البلاد ، بجانب العناية بالأطفال والأمومة . والامراض الاجتماعية السارية، وفي العراق عدد من الجمعيات الاهلية للعناية بالصحة والثقافة كجمعية حماية الأطفال وجمعية الهلال الاحمر وجمعية مكافحة السل وجمعية بيوت الامة .

* وكذلك نظمت طرق المواصلات البرية فاشترت الحكومة العراقية

خطوط السكك الحديدية من الحكومة البريطانية ، وفي العراق اليوم ثلاثة خطوط حديدية هامة ، الأول بين البصرة في الجنوب والعاصمة وطوله ٥٦٩ كيلومتر ، والثاني بين بغداد وتل كجك في اقصى الحدود الشمالية ، ويمر بمدينة الموصل وطوله ٥٢٦ كيلو متر ويتصل بالخطوط التركية والسورية ، والثالث بين بغداد وكركوك في الشرق وطوله ٣٢٢ كيلو متر وقد بوشر بايصاله الى آربيل فالموصل ، ويتفرع من هذه الخطوط الرئيسية خطوط فرعية طولها ٧٥ كيلو متر ، كما وان الحكومة قد فتحت بين كافة انحاء القطر طرقاً للسيارات وعبد قسم منها ، ولا يزال إكمال الاقسام الباقية جارياً ، بينما يربط العراق بفلسطين طريق معبد للسيارات . وانشئت المحطات الكبيرة فى البصرة وبغداد والموصل واسست عدة مطارات جوية ، ونظم ميناء البصرة البحري أحسن تنظيم .

* تقسم حياة السكان الى قسمين ، حياة الريف ، وهي حياة القبائل التي تمتهن الزراعة ورعي الماشية ، وحياة المدن وهي حياة اصحاب الاعمال ولا زال الريف العراقي يحتفظ بطابع الحياة القبلية المعروفة من القديم وإن دخلت عليها معالم الحضارة ، اما المرأة العراقية ، فقد نهضت نهضة طيبة وصارت الفتاة العراقية تتثقف في المعاهد العالية ، وقد تثقف كثير منهن في في معاهد اوربا وامريكا ، والمرأة تساهم مع الرجل في نهضة البلاد الحديثة .

* لا توجد في البلاد احزاب سياسية ، وتصدر في العاصمة اكثر من عشر صحف يومية كبيرة وعدد من الصحف الاسبوعية والمجلات نصف الشهرية والشهرية وكذلك عدد من الصحف في مختلف انحاء القطر .

* ابرز مصادر الثروة في البلاد المنتوجات الزراعية وفي مقدمتها (التمور) والحبوب على انواعها (الحنطة . الشعير . الرز . الدخن . الذرة .) ويعد العراق أول بلد في العالم بكثرة غابات النخيل التي تنتج اكثر من ٢٠ نوعاً من التمور الجيدة مما جعل العراق معروفاً بين بلدان العالم ببلد النخيل ، كما يوجد القطن والكتان والفواكه والحمضيات والزيتون ، اما اهم منتوجات الحيوانات فهي الماشية وفي مقدمتها الاغنام والبقر والماعز والابل والخيول العربية الاصيلة . واهم المنتوجات المعدنية (النفط) الذي تستثمره اليوم عدة شركات عالمية في عدة أمكنة من البلاد اهمها منطقتي خانقين وكركوك في شرق العراق .

* في البلاد اليوم عدد من مصانع المنسوجات والزيوت والسكائر والكبريت والزجاج والاحذية والاخشاب والحاجات المنزلية الأخرى تسد منتوجاتها قسماً من حاجة البلاد .

* بلغ العراق شوطاً كبيراً في العمران فاقيمت في مختلف انحائه ـ خاصة في بغداد ـ العمارات الضخمة والبنايات الكبيرة للراحة والتسلية والتهذيب والجسور والقناطر الحديدية الثابتة ، و بنايات الحكومة ، و يسير العمران سيراً جد حثيث في مختلف الوجوه ، وتساهم ادارات البلديات في ذلك مساهمة فعالة .

* من ابرز مميزات العراق اليوم ان كل المصالح العامة بيد الحكومة لا بيد الشركات الاهلية ، فالمعارف بيد وزارة المعارف ، ونظام الدراسة واحد رغم وجود بعض المدارس الاهلية التي تخضع لنظام وزارة المعارف

وتراقب من قبلها و يعين اساتذتها بمعرفة وامر معالي الوزير ، والبرق والبريد والتلفون بيد وزارة المواصلات والاشغال ، تديره مديرية عامة ، وكذلك السكك الحديدية ، ومشاريع اسالة الماء والكهرباء بيد لجان خاص تابعة لادارة البلديات التي هي فرع من وزارة الداخلية ، وكذلك مصالح الطرق والري ، والمستشفيات كلها حكومية ومجانية عدا خمسة اهلية تخضع لرقابة الحكومة وتستمد منها المعونة ، وهكذا بقية المصالح العمومية .

* في العراق مجموعة ضخمة من أنفس الاثار والاماكن الاثرية التي تمثل مختلف الحضارات البشرية يأم زيارتها عدد كبير من السواح الذين توفر لهم الحكومة اسباب الاطلاع والدرس .

* اميز صفات العراقيين الشجاعة ، والأنفة ، وحب الحرية ، والكرم والوفادة ، والاهتمام بمصلحة بلادهم وسياستها والعطف الشديد بتضحية ومعونة على الاقطار العربية خاصة والاسلامية عامة .

* أهم مدن العراق « بغداد » وهي العاصمة وتبلغ نفوسها حوالي ٧٥٠ الف نسمة وتقع على نهر دجلة وسط البلاد ، و « الموصل » وتقع في الشمال على نهر دجلة ، و « البصرة » وتقع في الجنوب على نهر « شط العرب » الذي يتألف من اتحاد نهري دجلة والفرات ثم يصب في الخليج العربي وهو صالح للملاحة البحرية مما جعل البصرة أن تكون ميناء العراق ، و « كركوك » في القسم الشرقي وهي مدينة النفط ، ومدن « الكاظمية » شمال بغداد ، وفيها ضريحي الامام موسى الكاظم وحفيده الامام علي الجواد وهما من اولاد الحسين بن علي بن ابي طالب (ع) و « كربلاء »

في الغرب وفيها ضريح الحسين بن علي (ع) والعباس بن علي و بقية الهواشم الذين قتلوا في كربلاء ، و « النجف الاشرف » وفيها ضريح الامام علي بن ابي طالب (ع) ، و « سامراء » شمال الكاظمية وفيها ضريحي الامام علي الهادي و ولده الامام الحسن العسكري وهما من اولاد الحسين (ع) . وهذه الاضرحة وتسمى (العتبات المقدسة) تعتبر مزارات لمختلف الطوائف في العالم الاسلامي .

* مساحة العراق اكثر من ٤٥٠ الف كيلو متر مربع و يحده من الشمال تركيا ، ومن الشرق ايران ، ومن الجنوب الخليج العربي وامارة الكويت والمملكة العربية السعودية « نجد » ، ومن الغرب امارة شرق الاردن وسوريا .

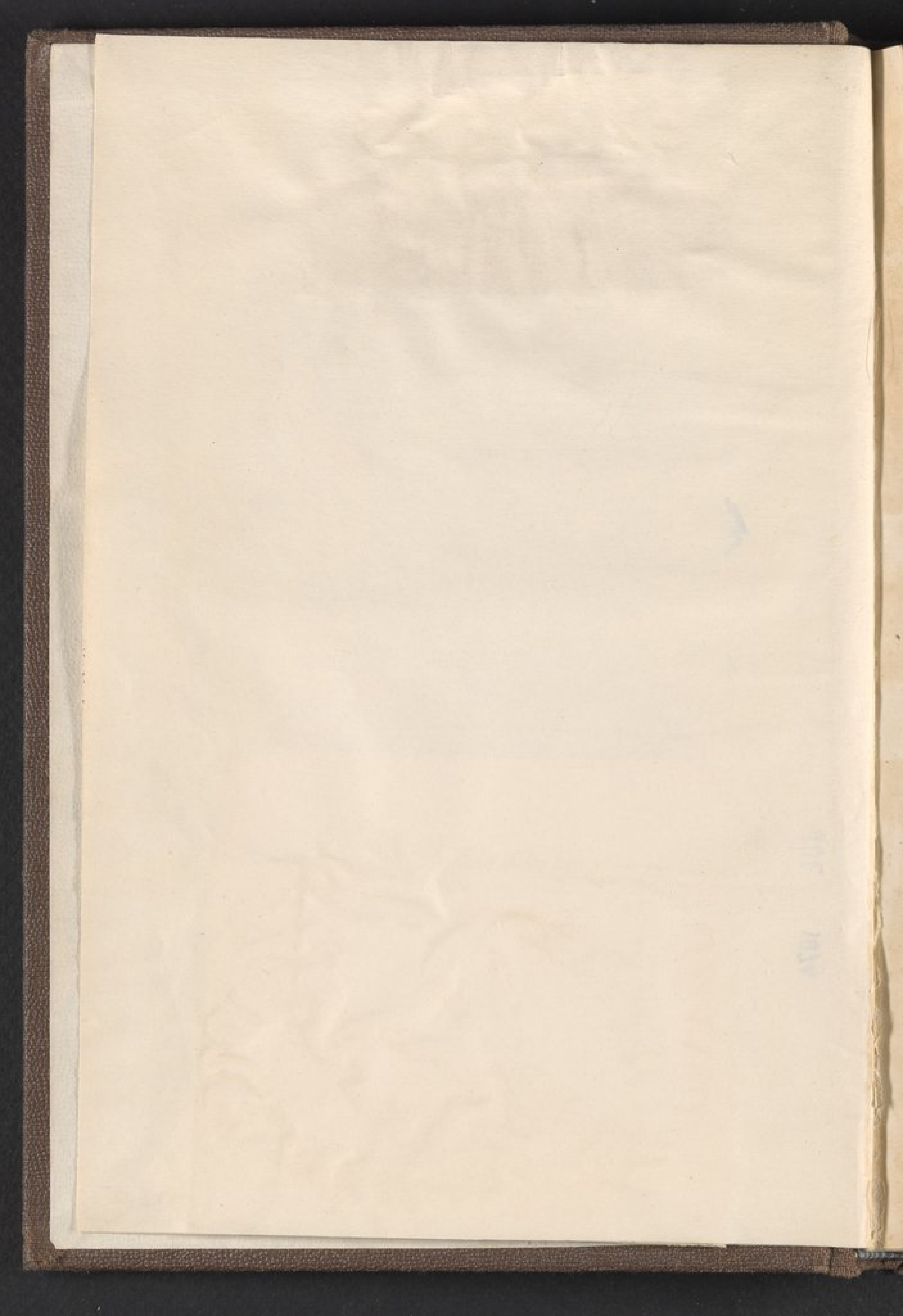
(تم الكتاب)

الفهرست

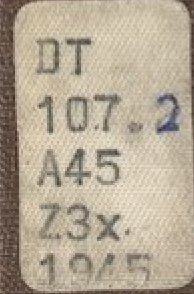
ص	الموضوع

أ — يشكر المؤلف اصحاب مطبعة الرشيد لمساعدتهم القيمة في تنظيم طبع الكتاب بهذه الحلة الزاهية .

ب — يرجو ابدال رقم الصحيفة **٧٤** بـ **٧٦** والصحيفة **٧٨** بـ **٨٠** .






DT
107.2
A45
Z3x
1945